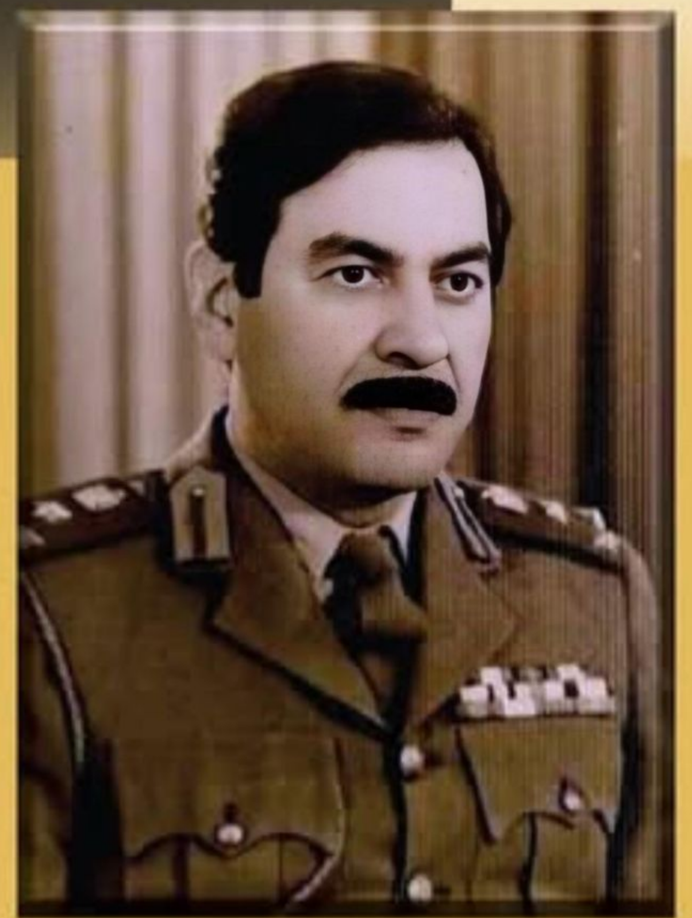






آمر حماية الزعيم وآخر الصامدين

مذكرات اللواء المتقاعد شاكر محمود العزاوي

اعداد : الصحفي صباح علال زاير

٢٠١٩

المحتويات

المقدمة

مذكرات اللواء المتقاعد شاكر محمود العزاوي جاءت على شكل حوار صحفي اجريته معه امتد لأكثر من ثلاثة أشهر بمعدل لقاء او لقاءين كل اسبوع، لكي امنحه الفرصة لاستذكار معلومات واحداث مر على بعضها اكثر من ستين عاماً أولاً، ومن أجل أن لا أثقل عليه الحديث لاسيما انه تجاوز الثالثة والثمانين وكانت مسيرته حافلة بالمخاطر التي كادت ان تضع له النهاية اكثر من مرة لولا عناية الله سبحانه وتعالى، فهو اول ضابط اقتحم مقر وزارة الدفاع في صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ بعد أن بدأت حياته العسكرية بعد التخرج مباشرة من بناية وزارة الدفاع، ليقوم حينها باعتقال متصرف "محافظ" بغداد ومدير الامن العام بهجت العطية ومدير الشرطة العام، ومن المفارقات أن حياته العسكرية انتهت فعلياً من بناية وزارة الدفاع ايضاً مع انتهاء الثورة بانقلاب شباط الأسود ١٩٦٣.

تختزن ذاكرة العزاوي الكثير من الأحداث التي رافقته في الجيش وأخرى تلك التي كان فيها مسؤول حماية الزعيم عبد الكريم قاسم اثناء تنقلاته خارج وزارة الدفاع، لأن مسؤول الحماية في الداخل هو المقدم قاسم الجنابي اضافة الى مرافقه العقيد وصفي طاهر والرائد حافظ علوان، كما انه الضابط الذي التحق بمقر وزارة الدفاع صباح الثامن من شباط مع انه كان ضمن وحدة عسكرية في شمال العراق وظل يدافع بكل بسالة عن مؤسس الجمهورية العراقية وقائد ثورة ١٤ تموز، وصمد بثبات الى اخر لحظة حين ودّع الزعيم عبد الكريم قاسم في اليوم الثاني ليكون شاهداً أميناً على مأساة ما رافق ذلك الانقلاب المشؤوم وعلى بطولة المتحصنين في الوزارة والحوارات التي دارت بين الزعيم وصحبه والعروض الكثيرة التي تلقاها من قبل اكثر من جهة للقضاء على الانقلابيين وانقاذ حياته التي رفضها كلها، كما ان وصول العزاوي فيما بعد الى داره القريبة من مقر وزارة الدفاع كانت لا تخلو من الاعجوبة بعد ان تنكر بزي بائع "الحب" أو الكرزات، ثم سرد

لي وقائع ما حصل له بعد الانقلاب وتوقيفه في سجن رقم واحد بمعسكر الرشيد وما رافق ذلك من معاناة وتعذيب والحكم عليه بالسجن واخراجه من الجيش، ليعاد الى التوقيف ثانية بعد ان خطط لانقلاب واسع عام ١٩٦٤ كاد ان يطيح بعبد السلام عارف لولا كشفه في اللحظات الاخيرة، ومن ثم لقائه المثير مع عارف، حوار يكشف فيه العزاوي تفاصيل غزيرة بالمعلومات وبكل دقة سنمر عليها لاحقاً، ليكون بذلك شاهد عيان وطرف رئيس في تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق، التي حين يسرد ما حصل انذاك يخفي دموعه التي تغلب مكابرته، لكنه لا يستطيع اخفاء ألمه الكبير وحزنه الدائم على زعيم خانه صحبه ورفاقه وغدر به معظم من أحسن اليهم وعفا عنهم في اوقات ماضية، ليخسر العراق رجلاً يندر ان تجود به الدنيا ثانية من حيث الشجاعة والقيادة والنزاهة والاخلاص والوطنية وطيبة نفسه وهي صفات كما يقول العزاوي يندر ان تنجمع في رجل واحد عدا الائمة والمعصومين عليهم السلام.

حاولت ان اتعامل مع الكتابة عن تلك الاحداث بطريقة الهرم المقلوب الذي عادة ما نلجأ اليه في الصحافة اثناء تحرير المواد الخبرية، أي أن أبدأ بالأهم ثم المهم ثم ما هو أقل أهمية، لكني وجدت أن كل حديثه هرم ويستحق أن يحتل أولوية الأهم، لذلك قسمت الحوار الى عناوين فرعية تحكي جانباً من المواقف، وانطلق معه من حيث الذروة أي الساعات التي قضاها مع الزعيم في وزارة الدفاع، ثم نستذكر الصور الأخرى من حياته في مشاهد متداخلة.

وقبل البدء بتفاصيل الحوار لابد ان نمر بشكل سريع على سيرة العزاوي فهو شاكر محمود عبد احمد العزاوي تولد ١٩٣٥ محلة العزة في منطقة الفضل ببغداد وخريج الاعدادية المركزية الواقعة قرب ساحة الميدان في جانب الرصافة التي تخرج منها العديد من السياسيين العراقيين، ليلتحق بالكلية العسكرية الملكية في الرستمية يوم ١٥ أيلول ١٩٥٥ ضمن فصيل ١٢ السرية الثالثة الدورة ٣٤ التي اطلق عليها دورة الاتحاد الهاشمي بعد أن تزامن تخرجها مع اقامة الاتحاد الهاشمي بين العراق والاردن، وقد حضر مراسيم التخرج الملك فيصل الثاني ونوري سعيد ورئيس اركان الجيش الفريق الركن

محمد رفيق عارف في ٣٠ حزيران ١٩٥٨، وبالمناسبة تولى منصب امر الكلية العسكرية في السنوات الثلاث التي كان يدرس فيها العزاوي، على التوالي كل من اللواء الركن مزهر الشاوي ثم اللواء الركن عادل احمد راغب، بعدها اللواء الركن عبد الرزاق حمودي.

كان والده احد شيوخ عشيرة العزة ويعمل تاجر حبوب ورجل دين في نفس الوقت، تزوج من ابنة عمه وهو مازال طالباً في الكلية العسكرية، وله منها ثلاثة أولاد وست بنات، أكبر اولاده عامر تولد ١٩٥٨، وقد تدرج اللواء شاكر العزاوي في المناصب والرتب العسكرية مع فترات التوقيف والاعفاء من الجيش بعد انقلاب شباط وسجنه واعتقاله في سجون عدة بينها نقرة السلمان، الى ان تسنم منصب امر لواء مطلع الثمانينيات، ثم احيل الى التقاعد برتبة لواء في العام ١٩٨٨، وكان يستحق رتبة فريق في الجيش، لينهي بذلك رحلة شاقة ومريرة وفي ذات الوقت في منتهى الشرف والشجاعة والاخلاص لوطنه ومهنته.

اليوم المشؤوم..

في داره بمنطقة الضباط في زيونة التي بناها وسكنها منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي لا يكاد حديث اللواء شاكر العزاوي ينتهي وهو يستعيد بشكل دائم حياته التي قضاها قريباً من الزعيم عبد الكريم قاسم مع انه خسر بسبب تلك المحبة الكثير، لكنه فخور بوفائه لقائد ثورة تموز وغير نادم على ولائه له وللمسيرة الوطنية التي سار عليها والتي يؤكد انها لو استمرت لكان العراق ليس كما هو الان.. اكثر ما شدني للعزاوي ذلك الانفعال الصادق والحزن الواضح الذي يرسم تفاصيله على ملامحه وهو يسرد وقائع مريرة ومؤلمة.. بادرته بالسؤال التالي ليكون المدخل الى الحوار الذي يمثل مذكراته الشفوية لي عن مدة محدودة من حياته، لأن رغبته انحصرت بتوثيق علاقته بالزعيم وما تبعها من تداعيات دون ان يمر على باقي حياته العسكرية التي بالرغم مما رافقها لكنه يراها لا تختلف كثيراً عن حياة معظم ضباط الجيش العراقيين.

سيادة اللواء حدثني عن يوم ٨ شباط .. أين كنت في الساعات الاولى من ذلك اليوم... ارجو ان اسمع منك مشاهداتك لما حصل لاسيما أنك بقيت مع الزعيم الى يوم ٩ شباط؟.

كنت في داري بمحلة الفضل في اجازة دورية مدتها خمسة أيام من مدينة زاخو الى بغداد، وبحدود الساعة الثامنة والنصف والتاسعة صباحاً شاهدت طائرات تحوم فوق وزارة الدفاع حيث يقع منزلنا القريب من الوزارة، وسمعت اصوات الرمي وتصاعد اعمدة الدخان، وكانت لدينا معلومات، نحن القوى الوطنية، تشير الى احتمال قيام انقلاب وشيك ضد الشهيد الزعيم عبد الكريم قاسم «رحمه الله» يقوم به البعثيون وما يسمى بالقوميين للقضاء على ثورة ١٤ تموز، وفي الحال ارتديت ملابسي العسكرية من اجل الالتحاق بمقر الدفاع والانضمام الى قوات الجيش الموجودة هناك، حاولت زوجتي منعي بعد أن جلبت اطفالي قائلة «وين يروحون ذوله اذا صار بيك شي»، أخبرتها ان هؤلاء لهم الله سبحانه وتعالى، ومن منطقة الفضل الى

وزارة الدفاع على امتداد منطقة باب المعظم كان هناك الاف الناس المؤيدين للزعيم، وحالما شاهدوني وعلموا نيتي لنصرة الزعيم حملوني على اكتافهم، ولا أبالغ لو قلت أنهم انتقلوا بي من كتف الى آخر، فدخلت الوزارة بحدود الساعة التاسعة، وحالما وصلت شاهدت الرائد سعيد مطر أحد أمراء سرايا الانضباط العسكري، ذلك الرجل الوطني الشجاع المليء بالوطنية وهو بالاصل من محافظات الجنوب، ومعه ملازم علاء من الدورة التي التحقت بالكلية العسكرية بعد دورتي مباشرة وهو ابن أخت مدير الأمن العام في زمن الزعيم عبد الكريم قاسم العقيد عبد المجيد جليل، وتسلمت احد المدافع لكي اقاوم الانقلابيين، فاخذ الملازم علاء قبل أن يستشهد، يملي لي الصواريخ للمدفع الروسي الصنع «PIO» ضد الدبابات والذي سبق ان دخلت في دورة عليه، وتمكنت من إعطاب أربع دبابات كانت تطلق النار على الدفاع، حيث كنت اطلق النار على سرف الدبابات المعادية لكي لا أصيب الأشخاص الذين فيها، وسط مقاومة مستمرة من قبل ضباط وأفراد الانضباط العسكري لكنها كانت مقاومة غير منظمة بسبب عدم وصول آمرهم العميد عبد الكريم الجدة وباقي المسؤولين، اضافة الى انهم كانوا يقاتلون بسلاح المشاة امام قوات دروع مهاجمة وطائرات من الجو.

يتوقف اللواء شاكر العزاوي قليلاً كأنه يحاور الانقلابيين.. فيقول: لقد أشاعوا بأنه تم القضاء على الزعيم في بداية الانقلاب من اجل خدعة الشعب والجيش، كما ادعوا أنه انحرف عن خط الثورة وأنه شعوبي وبعيد عن الخط العروبي، كل تلك المفردات التي ساقوها كانت بعيدة عن الحقيقة التي لمستها بنفسي لأنه كان وطنياً الى اقصى حد وعروبياً شريفاً دون تطرف، اضافة الى نزاهته وشجاعته ونبله واخلاقه العالية..ثم يعود ليعاتب رفاقه الضباط ليؤكد أنهم لو اتخذوا قرارهم مثلما قررت والتحقوا بمعسكراتهم لما نجح الإنقلاب، ويشدد على أنه عاتبهم على ذلك عندما جمعهم السجن فيما بعد.

ومتى وصل الزعيم عبد الكريم قاسم الى مقر وزارة الدفاع؟

خلال استمرارنا بالمقاومة من داخل الوزارة وصل الزعيم في الساعة

التاسعة والنصف صباحاً ومعه مدير الحركات العسكرية العميد الركن طه الشيخ أحمد ورئيس محكمة الشعب العميد فاضل عباس المهداوي والمرافق الأقدم العقيد وصفي طاهر والمقدم الركن قاسم الجنابي واستقبلهم العميد عبد الكريم الجدة الذي التحق قبلهم بنصف ساعة، وكان تعداد عناصر الانضباط العسكري المتواجدين داخل وزارة الدفاع بحدود خمس سرايا وكل سرية تضم ١٣٢ مكونة من ضباط السرية والجنود، والشهادة لله قاتلوا بمنتهى البسالة والشجاعة وتصدوا للانقلابيين غير آبهين بالموت الذي حصد أرواح المئات منهم فيما بعد بفعل قصف الطائرات أو القصف المدفعي أو صواريخ الدبابات التي حاصرت الدفاع مع تقدم الوقت وتمركز بعضها مقابل الوزارة من جهة الكرخ وتحديداً في منطقة الجعيفر.

في هذه الأثناء ونحن الان بحدود الساعة الحادية عشرة ظهر ٨ شباط ما الذي اتخذه الزعيم من اجراءات لإحباط الانقلاب؟

اتخذ مع طه الشيخ احمد والمهداوي ومن معه الكثير من القرارات لكن معظمها لم تنفّذ أو يتم الغاؤها من قبل الزعيم، فمثلاً كانت هناك كتيبة دبابات خالد ومقرها في موقع السباق القديم «الريسز» قرب بغداد الجديدة والمشتل، ومن ضمن مسؤولياتها خطة أمن بغداد وقد اتصلوا بها ولكن من دون جواب، ثم تم الاتصال بالعقيد يحيى الحافظ امر الفوج الثاني لواء ١٩ ومقره في وزارة الدفاع الا ان المذكور كان من ضمن الانقلابيين، كما أن بعض المدافع المضادة للطائرات مسحوبة ابرها ومعطلة بفعل ما قام به في وقت سابق امر بطرية الدفاع الجوي في مقر الدفاع الملازم كنعان مخلص وهو من دورتي وكان من ضمن الانقلابيين ولم يحضر الى الدفاع اثناء وقوع الانقلاب، وذلك لكي يفشل أي مقاومة ضد طائرات الانقلابيين، وكل من اتصل بهم الزعيم في حينها اما أن يكتشف أنه متخاذل او متواطئ وخائن للأمانة، أو يتظاهر بتنفيذ الأوامر لكنه لا ينفذها، ثم بحدود الساعة الحادية عشرة اتصل بمقدم اللواء الـ١٩ المقدم الركن عبد العزيز الصندوق لكن الذي أجابه المتآمر النقيب الركن طه الشكرجي، الذي عينه الزعيم بنفسه في اللواء بعد أن نقل خيرة الضباط الوطنيين خارج اللواء الى وحدات غير فعالة، بالرغم من

وجود العديد من علامات الاستفهام بشأن هذا الشخص، فتجاوز الشكرجي بكلام بذيء وغيرمؤدب تجاه الزعيم بالقول «انجب اليوم نذبحك»، مما دعا الزعيم الى أن يشهر مسدسه ويهرول مسرعاً من غرفة العمليات عبر السلّم باتجاه سيارته للتوجه الى معسكر الرشيد لتأديب الشكرجي لولا توسل الجدة وطه الشيخ احمد والباقين به وثنيه عن ذلك، وهنا عاد الى مكتب آمر الانضباط العسكري ولم يعد الى مكتبه، ولكن يكاد هذا الحادث هو الذي انهى نفسية الزعيم فأصبح «صفنة تاخذه وصفنة تجيبه» واضعاً يده على خده وهوسارح وشارد الفكر، وتقريباً أكثر من ٩٠٪ من قواه انهارت بفعل هذا الحادث وفقد التركيز بشكل شبه تام، إذ لم يتحمل ذلك التجاوز من انسان ليس له ذرة من الرجولة.

من كان يقود القتال ميدانياً داخل وزارة الدفاع؟

كنت اشاهد العميد عبد الكريم الجدة ماسكاً بندقيته ويقاتل ويوجّه الضباط والجنود، كذلك العقيد وصفي طاهر الذي كان وسط الميدان يقاتل الى أن اصيب اصابة بليغة وظل ينزف طيلة اليوم الاول للانقلاب ليستشهد في اليوم الثاني، ثم استشهاد الجدة ايضاً، اما الاخرون فكانوا يتنقلون مع الزعيم، وكنت أنا مع بعض الضباط والجنود نتخذ مواضعنا قرب قاعة الشعب باتجاه الشارع الواقع حالياً بين وزارة الدفاع ومدينة الطب حيث لم يكن جسر باب المعظم موجوداً آنذاك، وفي هذه الأثناء رجونا آمر الانضباط العسكري لكي يوافق على أخذنا من أجل أن نتحدث مع الزعيم ونقترح عليه تسليح الجماهير التي مازالت تهتف بحياة المرحوم عبد الكريم قاسم وتحتشد امام الوزارة وتطالب بتسليحها لمواجهة الانقلابيين، وبالفعل ذهبنا اليه وفاتحه الجدة بذلك شارحاً له حراجة الموقف وتخاذل من تخاذل وتكالب الكثيرين ضد الثورة وقائدها، وهنا سأله الزعيم بحزم «كريم هذا السلاح اللي عدنه المن جبناه»، فأجابه العميد عبد الكريم الجدة «اعرف سيدي لتحرير فلسطين لكن الان الامور غير شكل»، ثم صاح بانفعال «والله اذا وزعت طلقه وحده عالناس احاسبك اشد الحساب.. ما أريد العراقيين يتقاتلون بسببي.. اللي كاتبه الله خل يصير»، فرجعنا دون ان يستجيب

لرغبتنا بتسليح الجماهير ..وقد تزايدت اعداد الشهداء داخل ساحة وزارة الدفاع، بحيث حين توجهنا لنلتقي بالزعيم كنا نعبر بصعوبة من بين مئات الجثث لضباط وجنود الانضباط العسكري، ومن العروض التي كان من الممكن انقاذ الوضع هو اتصال السفير السوفيتي عبر الهاتف بالزعيم حيث أوعز للعقيد وصفي طاهر ليجيب وذلك في غرفة الجدة فعرض السفير ان يبلّغ الزعيم استعداد الاتحاد السوفيتي ارسال من ٢٠ - ٣٠ سرب من احدث الطائرات الى بغداد وتحويل نهارها الى ليل وليلها الى نهار والقضاء على المتمردين وانهاء الانقلاب فوراً حالما تصدر موافقة الزعيم على ذلك، علماً أن أقل سرب يتكون من ١٠ - ١٢ طائرة، فصاح على وصفي طاهر قائلاً «قل له اشكرك وإغلق التلفون» وهنا حضنه المهداوي معاتباً اياه «ليش تضيع فرصة افشال الانقلاب»... فانفعل الزعيم قائلاً «بالامس خلصتكم من استعمار بريطاني وتريدون هسه استبدله باستعمار سوفيتي».

يواصل العزاوي حديثه ...هذا دليل اخر على ان الزعيم ليس شيوعياً لا من قريب ولا من بعيد وصدق القول حين كان يؤكد انه فوق الميول والاتجاهات، والا لو كان يميل الى الشيوعية كيف يسمي السوفيت بالاستعمار الشرقي ويشبههم بالاستعمار الغربي.

ومع كل هذه الظروف الحرجة الا ان الضباط القليلين والجنود المتحصنين في وزارة الدفاع لم يتخاذلوا واستمروا بالمقاومة .. وكلما جاءه خبر استشهاد احد الضباط والقادة ازداد الزعيم حزناً وهمّاً واصبح كمن لا حول له ولا قوة..ثم شعر باليأس عندما لم يتم بث شريطين سجلهما وارسلهما الى الاذاعة بسبب الخيانة والتامر وخصوصا من قبل المقدم الركن جاسم العزاوي سكرتيره الخاص الذي سبق ان عينه مشرفاً على الاذاعة إذ كان يعمل سراً مع اعداء الزعيم رغم كل احسانه له، ومن ضمن كلمته في الشريط كانت دعوته الى الجماهير لتحدي قرار منع التجوال الذي اصدره الحاكم العسكري للانقلابيين رشيد مصلح بعد أن عينوه حاكماً عسكرياً، ولكن حين كان ينظر الزعيم الى الشوارع التي بدأت تختفي منها الناس شيئاً فشيئاً حتى اصبحت خالية منذ نهاية وقت الظهيرة، ومن ثم استماعه لما تذيعه

الاذاعة عبر راديو ترانسستر كان بيده، صار لديه شبه يقين ان الكفة مالت لاعدائه اضافة الى ان اجواء رمضان وصيامه جعلت قواه تضعف تدريجياً بحيث انه لم يفطر اول ليلة للانقلاب بغير شربة ماء فقط، وأجزم وأكرر أن نبل واخلاق الزعيم هي التي اضاعت ثورة ١٤ تموز وقضت على هذا الرجل وعلى مستقبل العراق والقوى الوطنية.

العبدي قلق..

وعندما لاحظ الزعيم ان اللواء الركن رئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي كان في وضع قلق ومرتبك طلب منه مغادرة الدفاع وبالفعل تسلل العبدي عند وقت المغرب من يوم الجمعة بمحاذاة دجلة ثم باتجاه المنطقة القريبة حالياً من مدينة الطب ولكن تم القاء القبض عليه.. وفي المساء يكاد ان يكون كل شيء قد توقف داخل وزارة الدفاع اذ ساءت الامور وتم تطويق الوزارة من كل مكان، ولم يتبق من الضباط اكثر من عشرة بين مساء الجمعة وصباح السبت، ثم طلب الزعيم لقاءنا عند الساعة التاسعة صباح السبت أنا والرائد البطل سعيد مطر، وحالما تقربنا اليه قبّل رأسينا قائلاً «ولدي ذوله انطوني كلام شرف يسفّروني خارج العراق فانتو خلصوا نفسكم وروحوا لعوائلكم»، وهنا ردّ عليه الرائد سعيد مطر قائلاً «سيدي همّه ذوله عدهم شرف حتى تصدّك بكلام الشرف مالتهم؟.. شلون تصدك بذوله؟»، وللحقيقة أذكر اني كنت مصاباً بشظية إصابة بسيطة في ساقي لكن تفكيري بمصير الوطن والزعيم انساني الألم.

حزن واحباط واستذكار..

سيادة اللواء انت كنت داخل الدفاع مع القلة التي ظلت حتى اللحظات الاخيرة التي سبقت نقل الزعيم ورفاقه الى مبنى اذاعة بغداد.. ما الذي كنت تفكر فيه انذاك؟

كنت حزيناً جداً لعدة اسباب أولها شعرت بضياع حلمنا ببقاء ثورة تموز واستمرارها في بناء العراق بشكل سريع وبخطوات واثقة وطموحة..

حزين للظروف السيئة التي كان فيها الزعيم بعد ان تخلى عنه الكثيرون وخانه الكثيرون وخذله الكثيرون بالرغم من الصفات النبيلة والروح الانسانية الفريدة التي كان عليها.. حزنت على مصير بلدي الذي حلمت بتقدمه ورفاهيته طيلة عمري.. حزنت للشهداء الميامين الذين ظلت جثثهم منتشرة داخل مبنى وزارة الدفاع.. تساءلت مع نفسي كيف لرجل مثل عبد الكريم قاسم المعروف بامكانياته في التعبئة العسكرية وهو الضابط الركن الأبرز، كيف مثل هؤلاء تسقط حكمه الذي يدعمه الملايين من ابناء الشعب العراقي و٩٠٪ من القوات المسلحة.. كيف تمكّن هؤلاء من خدعته .. حتى الانقلابيون لم يتوقعوا نجاحهم بهذه السهولة لاسيما انهم كانوا مكشوفين وقد كانت ترد التقارير المستمرة لمكتب الزعيم باسماء المتامرين .. كيف لقائد تحدى الدول العظمى باسقاطه الملكية وتقديم المنجزات العظيمة ان تتم محاصرته بهذا الشكل..ثم سرحت بي الذاكرة بشكل سريع حين بدأت حياتي العسكرية من داخل وزارة الدفاع وانتهت فيها أيضاً.. رحت الى يوم التحاقي بوزارة الدفاع في العاشرة صباحاً من العام ١٩٥٥عند اول ساعة لتقديمنا الى الكلية العسكرية وكنا ١٨٤ طالباً من مختلف انحاء العراق، والاكثرية من بغداد، واجرى لنا المقابلة كل من اللواء الركن حسيب الربيعي شقيق الفريق نجيب الربيعي واللواء الركن مزهر الشاوي واللواء الركن غازي الداغستاني... حيث تحرك الطلبة المتقدمون من وزارة الدفاع باتجاه شارع الرشيد الى حديقة الامة في الباب الشرقي التي كانت تسمى حديقة الملك غازي حينها.. كانت الناس «تطش الملّبس علينه والنساء تهلهل».. صعدنا بسيارات عسكرية الى منطقة الرستمية وهي مقر الكلية العسكرية.. تذكرت آمر الكلية اللواء الركن عادل احمد راغب وامر فوجنا العقيد الركن عبد العزيز الاقجم وامر سريتي المقدم بدر الدين علي وامر فصيلي النقيب علي محمد شريف الكردي الطيب الباسل من اهالي السليمانية.

عادت بي الذاكرة الى يوم تخرجي من الكلية بحضور الملك فيصل ونوري السعيد ورئيس اركان الجيش محمد رفيق عارف.. واللحظات التي شدوا فيها الرتبة على كتفي، ثم منحوني مع الخريجين الآخرين اجازة ١٤ يوماً

اعتباراً من ٣٠ حزيران ١٩٥٨ وهي اخر دورة في زمن الملكية، لألتحق حسب التبليغ بمدرسة المشاة في منطقة الوشاش بالكرخ في بغداد، ثم انزوى بي امر فصيلي النقيب علي محمد شريف وقال لي بالنص «كاكا شاكر اول ١٠ ايام من اجازتك مالي علاقة بيك بس اريد منك اخر اربعة ايام يومية تتمشى قرب وزارة الدفاع لأن بيتكم قريب عالدفاع.. ربما نلتقي هناك اني وياك».. كان هذا الرجل من الضباط الاحرار القدامى.. اخذت بالفعل اتردد قرب الدفاع كل يوم بدءاً من يوم ١١ تموز.. واتذكر انني في اليوم الاخير لإلتحاقي قلت في نفسي لأمر اليوم ايضا استطلع وزارة الدفاع وذلك عند الخامسة فجراً..تناولت يومها من بائع الشربت في منطقة الفضل قدحاً كبيراً من الزبيب وقطعة صمون ودفعت له عشرة فلوس واتجهت سيراً على الأقدام بحدود الخامسة والنصف صباحاً الى الدفاع عبر منطقة الصابونجية التي تربط بين شارعي الجمهورية والرشيد لأصل الى هناك قبل السادسة من صباح ١٤ تموز..

لم تنس ذاكرتي مطلقاً تلك الساعات التي شاركت فيها باحتلال وزارة الدفاع التي يحاصرنا فيها الانقلابيون اليوم.. كنت وقتها استعرض ما حصل عندما صاح بي عند الساعة السادسة الا ربعاً تقريبا من يوم الاثنين ١٤ تموز قرب مدخل الدفاع النقيب علي محمد شريف بجملته المشهورة «كاكا شاكر.. كاكا شاكر اوكف» فالتفت لأراه في صدر سيارة امريكية عسكرية من نوع دوج باور ويبدو انه لمحني وعرفني في الحال، سلمت عليه ليبادرني على الفور «كاكا شاكر سويناها للثورة» فصعدت خلفه ليخبرني ان وجهتنا وزارة الدفاع التي لا نبعد عنها سوى مائة متر تقريباً، وكانت خلفنا سيارة عسكرية ايضا فيها فصيل من الجيش وخلفها سيارة اخرى فيها العقيد عبد اللطيف الدراجي الذي اسندت له مهمة احتلال وزارة الدفاع، ثم سيارتين اخريين خلفه، وحالما وصلنا باب النظام للوزارة ترجل الجنود من السيارات، في حين كان حرس الوزارة ستة اشخاص بضمنهم امر الحرس وكان عريف اورأس عرفاء، وحالما رأوا الدراجي أدوا له التحية العسكرية، فطلب منهم تسليم اسلحتهم جميعاً من دون أي مقاومة، واخبرونا أن دوائر وزارة الدفاع يوجد في كل

دائرة منها خفر واحد فقط من الجنود وضباط الصف، باستثناء دائرة الانضباط العسكري كان عدد الخفراء فيها بين ١٠ - ١٥ عسكرياً الذين سلموا انفسهم دون مقاومة ايضاً، اذ لم تستغرق عملية احتلال الوزارة اكثر من نصف ساعة بعد ان انضم الى الثورة كل الذين كانوا في داخل الوزارة، وقد طلبنا من الدراجي ان يستريح داخل مكتب امر الانضباط بعد ان راينا التعب واضحاً عليه لنكمل المهمة انا والنقيب علي اذ لم يكن معه اي ضابط اخر غيرنا عند القيام بمهمة احتلال الوزارة.. بعدها طلب النقيب علي ان نتوجه مع جنود الفصيل البالغ عددهم ٣٢ الى بناية مديرية الشرطة العامة القريبة من الدفاع، وحال وصولنا الى هناك أخبرنا حرس المديرية أن المعاون الخفر الذي كان برتبة ملازم أول نائم في غرفته، فقمنا بايقاضه وكان متفاجئاً بنا الى ان رد عليه النقيب علي بالقول «انت ما تدري الدنيه مكلوبة وانت نايم»، فطلب منه جمع افراد السرية المتواجدين في ذلك الصباح واعطاء امر لهم بفتح النظام «وأرضاً سلاح»، ثم اخذ منه مفاتيح الموقف وسلمها لي النقيب علي محمد شريف، فطلب أن اطلق سراح جميع الموقوفين بدون استثناء، ثم أدخلنا بدلاً عنهم سرية الشرطة عندما سرنا بهم «يس يم» حتى دخلوا التوقيف جميعاً واقفلنا عليهم الباب، كان ذلك بحدود الساعة الثامنة والنصف او التاسعة الا ربعاً صباحاً، وعند محاولتنا العودة الى الدفاع صادف حضور العقيد طاهر يحيى الذي عينته الثورة مديراً للشرطة العامة، ففتحنا له باب غرفة مدير الشرطة العام ليباشر مهامه، وتركنا حضيرة لتشرف على حمايته ثم انسحبنا الى مقر الدفاع بعد ان انجزنا الواجب خلال دقائق معدودة، فشكرنا العقيد الدراجي وصافحنا وقبّلنا اثر نجاحنا في المهمة، وبعد التاسعة والربع او اكثر بقليل صاح النقيب علي «كاكا شاكر اني نسيت عدنه مهمة اخرى تتضمن احتلال متصرفية لواء بغداد»، ثم اردف قائلاً «كاكا اخذ حضيرة وياك وروح للمتصرفية ابوي ابوي لان اني تعبت»، وبالفعل اخذت حضيرة والسيارة الدوج باور نفسها، وحال وصولي الى هناك طوقت البناية وابقيت ثلاثة جنود يرافقوني كحماية، فوجدت داخل المتصرفية فقط خمسة افراد شرطة مع راس عرفاء الذي

تحدثت له بضرورة عدم المقاومة والتجاوب مع الثورة، ثم طلبت منه جمع اسلحة الحرس التي كانت عبارة عن مسدسات نصف وبلي، كما طلبت منه ان يخبرني بمن في داخل المتصرفية، ثم همس لي قائلاً اذهب سيدي الى الغرفة الثانية لترى من بداخلها، وفور دخولي فوجئت باهم ثلاثة تبحث عنهم الثورة وهم مدير الأمن العام بهجت العطية ومدير الشرطة العام اللواء الركن عباس علي غالب ومتصرف لواء بغداد عبد الجبار فهمي وكانوا يرتدون ملابس بيضاء انيقة بهدف توديع الملك الذي كان مقرراً ان يسافر الى تركيا لإكمال مراسم خطوبته هناك من الأميرة فاضلة، ويبدو أنهم كانوا قد سمعوا بأنباء الثورة من خلال راديو معهم، فقال العطية «ابني انت مبين ابن حمولة وخوش انسان»، ثم سألني عن اسم عشيرتي، فاخبرته أن عائلتي من شيوخ العزة، فردَ بالقول «ابني احنه الان تحت رحمتك ومساعدتك وعدنه معلومات ممكن نفيد بيها البلد والثورة»، وترجّاني ان لا اسلمه الى الجماهير الغاضبة، فطمأنته واخبرته أني سأكون حريصاً على سلامتهم شرط التزامهم بتوجيهاتي، ثم خرجت من الغرفة واغلقت الباب خلفي، فاتصلت عن طريق البدالة بالمرحوم الدراجي واخبرته بالوضع، فقال «ابني ذوله مهمين»، ثم شاهدت الجماهير الغاضبة تسحل ببعض اقطاب النظام الملكي ويبدو انهم علموا بان العطية في المتصرفية فتجمهروا بالالاف، عندها صعدت على سياج المتصرفية والقيت خطبة على الحاضرين طالباً منهم جلب الطعام لجنود الثورة مدعياً انهم جياع منذ ليلة البارحة بسبب مهامهم في تنفيذ الثورة، وذلك بهدف ابعادهم عن المتصرفية، وباسرع ما يمكن توجهوا الى المنطقة القريبة من تمثال الرصافي حالياً لوجود دكاكين وأسواق ومطاعم وباعة البان هناك، فيما اسرعت بدوري الى احضار سيارة وفرشتها بحصيرة، وقمت بوضع الثلاثة في «البدي» بعد ان اخفيتهم من خلال تغطيتهم بالبطانيات، وصعدت معهم ايضاً وليس في صدر السيارة، طالباً من السائق ايصالنا بأقصى سرعة الى الدفاع، وخلال دقائق وصلنا، فاحتضنني الدراجي والنقيب علي محمد شريف مبدين اعجابهم بما قمت به، وتم ارسالهم من قبل قوة الى الموقف العام الذي كان يقع بمكان وزارة

الصحة حاليا بجانب وزارة الدفاع في باب المعظم، كان ذلك بحدود الساعة العاشرة والنصف صباحاً تقريباً، ويبدو ان الزعيم عبد الكريم قاسم قد وصل قبل هذا الوقت الى الوزارة، وبعدها وبحدود الساعة الحادية عشرة جاؤوا بجثمان الملك فيصل الى الدفاع وكنت ايضا حاضرا هناك وذلك من قبل ضابطين من ضباط مدرسة المشاة الذين هاجموا قصر الرحاب، احدهما الرئيس عبد الله الحديثي والثاني بنفس الرتبة لكني اجهل اسمه، وكانا يحملان ايضا جثمان عبد الاله في سيارة الجيب الا ان الجماهير الغاضبة سحبته من السيارة بالقوة وسحلته في الشوارع.

وعند وصول جثمان الملك الى وزارة الدفاع تم اخبار الزعيم وفي الحال ترك غرفة الحركات ونزل سلم الوزارة مسرعاً باتجاه الجثة وبعد المشاهدة طلب مدير مستشفى الرشيد العسكري هاتفياً طالبا الاعتناء بجثمان الملك فيصل الثاني وفحصه ومعاينته من قبل امهر الجراحين عسى ان يكون مازال حياً، وتم ارساله الى المستشفى، وبعد مرور اكثر من ساعة ونصف اخبروه بانه فارق الحياة، وللحقيقة فقد علمت لاحقاً ان احد المواطنين وهو المحامي شاكر جميل توجه الى قصر الرحاب مبكراً مع أحد اشقائه عند سماعه بقيام الثورة بعجلته من نوع فولكس واكن وعند اقترابه من القصر شاهد اثنان من ضباط الصف التابعين الى لواء الحرس الملكي أحدهم من اخواننا الكرد والثاني عربي وهما يسحبان امراة شابة مصابة وطلبا المساعدة لإيصالها الى أقرب مستشفى لغرض علاجها حتى سارع المحامي وشقيقه وحملاها بسيارتهما الى مستشفى الشعب وكانت تخفي اسمها الحقيقي وادعت بان اسمها سعاد نافع منتحلة اسم احدى صديقاتها من اجل تجاوز وعبور التجمعات الجماهيرية المؤيدة للثورة، لكنها ابلغت المحامي شاكر باسمها الحقيقي وبأنها هيام زوجة عبدالاله ولي العهد، ثم اخبرته بعنوان سكن والدها في شارع السعدون قرب الباب الشرقي وذلك بعد ان تمت معالجتها، ثم جاءت والدتها الى مستشفى الشعب لكي تتابع علاجها، وبعدها قام هذا المحامي الغيور بإعادة ضباط الصف الى قصر الرحاب.

وبعد منتصف النهار بقليل وصل بسيارة عسكرية النقيب قاسم الجنابي

ومعه قائد الفرقة الثالثة اللواء الركن غازي الداغستاني حيث اعتقله في بعقوبة وجلبه معه، وكان الداغستاني حينها يرتدي الملابس المدنية ببنطرون يسمى انذاك سيرج لونه رصاصي وقميص ابيض وذا شخصية مؤثرة من خلال هيبته ووقاره ووسامته، وبيده سكائر انكليزية نوع بلاك وايت تحوي العلبة من هذا النوع خمسين سيكارة، وفي يمينه دفتر، وعندما استقبله الدراجي ادى له التحية بكل احترام وطمأنه بانه سيرسله الان الى الزعيم، مؤكداً له بان قائد الثورة سينصفه، فبادره الداغستاني بالقول «انتو لو مخبريني كان شاركت وياكم، واني كان ايضاً بنيتي اسوي ثورة»، ثم فتح صفحات الدفتر الذي بيده ليبين خطته للقيام بالثورة، ثم اتصل الدراجي بالزعيم فنزل من غرفته الى الدرج السفلي من اجل ان يستقبل الداغستاني وادى التحية العسكرية له وعامله بكل احترام لكنه بيّن له بانه من اجل الحفاظ على سلامته سيضطر لتوقيفه مدة من الوقت وبعدها يتم اطلاق سراحه، فأخذه الجنابي بنفسه لايداعه في الموقف العام، وعندما بلغت الساعة الواحدة تقريباً استقبل العقيد الدراجي اتصالاً هاتفياً من محطة سكك غربي بغداد الواقعة قرب منطقة العلاوي حيث كان هناك شخصاً مدنياً الماني الجنسية وأرادت الجماهير الغاضبة سحله لاعتقادها بانه بريطاني، ولكن لحسن حظه كان يعرف كلمة «الماني» بالعربية، لذلك تركوه وظل داخل المحطة، ولهذا بعثني الدراجي لحمايته وجلبه للدفاع لكي لا يتم قتله وتتخذ المانيا وبريطانيا من الحادث ذريعة للتدخل ضد الثورة، وفي الطريق ونحن عائدون كلمني بلغة عربية ركيكة الا اني فهمت حديثه حيث قال لي «انا جئت من الكويت الى البصرة ومن ثم بالقطار الى بغداد كنت اعلم ان النظام السياسي هنا ملكي، ولكن حين وصلت قالوا ان النظام اصبح جمهورياً، فهل انتم بين الصبح والعصر تغيرون نظامكم»، ثم بعثني الدراجي الى سفارة المانيا لتسليمه، وبعد عودتي الى الدفاع في الساعة الثانية ظهراً، استأذنت من النقيب علي محمد شريف للذهاب الى عائلتي بعد ان شعرت بتعب وانهاك.

من ضابط الى بائع للحب..

هنا يعود العزاوي لتكملة حديثه عندما ودّع الزعيم وغادر الدفاع وهو حزين أشد الحزن حينها بعد ان رأى الوضع قد انتهى...فيقول غادرت متسللاً من الفتحة التي احدثها قصف الطائرات في السياج الخارجي القريب من مكان سيارة الزعيم التي تعرض فيها لمحاولة الاغتيال في العام ١٩٥٩ عبر طريق باتجاه محلة الصابونجية ومحلة السور، وكان وقتها هناك انقاض في شارع الجمهورية على شكل أكوام بسبب اعمال الحفر والتبليط وبقايا الأبنية القديمة، وعندما وصلت الى الشارع العام المحفور باتجاه محلة السور لمحت من بعيد شخص اعرفه يدعى محيي مرهون ومعه مجموعة من الحرس القومي ففتحوا النار باتجاهي من مسافة بعيدة مما اضطرني للرجوع داخل الازقة وهناك شاهدت امراة عرفت من خلال ملامحها ولبسها انها من مناطق الجنوب بالاصل، فصاحت بي بلهجتها المميزة وهي تسكن مع عائلتها داخل مجمع اضافة الى عدد من العوائل كل في غرف مستقلة اسوة بالعديد من الفقراء والكادحين... سألتني "بويه انت من يا جماعة؟" فقلت لها من جماعة الزعيم، وعلى الفور سحبتني الى داخل مسكنها وهي تلومني بسبب تواجدي في مكان خطر وسط الشارع وبرتبتي العسكرية، جلبت لي دشداشة زوجها وأزيائه الخاصة "جاكيت قديم وعرقجينة" ولبستها فوق ملابسي العسكرية بحيث غطّت ملابسي من الأعلى الى الأسفل، فيما اخفيت مسدسي داخل نطاقي من جهة الأمام ووضعت صينية الخوص "الطبك" فوق راسي وفيه "كيلة ومادة حب عباد الشمس"، ونجحت بالوصول الى داري بعد ان خرجت منها ضابطاً وعدت اليها بائعاً، حيث كانت عائلتي تعتقد اني استشهدت في الوزارة وكنت اسمع صوت البكاء والعويل، وحالما طرقت الباب فوجئوا بعودتي سالماً، فتم الاتفاق ان انتقل الى دار اهل زوجتي في مدينة الثورة، التي ظلت ايام تتحدى الانقلابيين، لأكون بعيداً عن الاعتقال، ومن ثم التحق بوحدتي العسكرية في اللواء الاول الفرقة الاولى التي مقرها في زاخو بشمال العراق، وبالفعل جاءني الى مدينة الثورة اولاد خالي وهم من الفلوجة حيث لدي ١١ ابن خال هناك، واوصلوني الى المحطة العالمية في

العلاوي، فقرر مجودي ان يرافقني الى الموصل، فيما عاد الاخران اللذان أوصيتهم بعائلتي خيراً في حال حصل لي مكروه، وعند صباح اليوم التالي وصلنا محطة قطار الموصل التي كان يتواجد فيها ضباط ومفارز يتابعون وصول أي ضابط عليه علامة استفهام ليقوموا باعتقاله، كان الوقت تحديداً بحدود الثامنة صباحاً، ووجود هؤلاء الضباط اثار قلقي، توكلت على الله وحملت حقيبتي ونزلت، وقرب المحطة رايت عريف من معارفي وهو من اهالي سوق الشيوخ ينادي من سيارة عسكرية زيل "سيدي العزاوي .. سيدي العزاوي"، فرجوته ان يحرص على اخراجي من الموصل بأسرع ما يمكن، اذ تستغرق المسافة من المحطة الى اطراف الموصل بحدود نصف ساعة، وبالفعل غادرنا المدينة ووصلنا الى المطاعم والمقاهي الموجودة هناك بعد أن أمنّا من الخطر، ونزل من السيارة لوحده ليجلب لي وجبة فطور مع الشاي، فتوجهنا قبل الساعة الواحد الى زاخو حيث مقر وحدتي التي وصلناه عند الرابعة عصراً، فاستقبلني آمر الفوج المقدم الركن صائل العزاوي ومساعده الملازم الاول طارق الشيخلي من اهالي الأعظمية، وفي السابع من اذار من العام ١٩٦٣ اي عقب شهر من الانقلاب المشؤوم، أخبروني أن والدي وصل الى زاخو وحاليا في غرفة امر الفوج بانتظاري، ذهبت للسلام عليه لكن آمر الفوج انزوى بي بعيداً عن اسماع والدي واخبرني أن برقية من الاستخبارات العسكرية وصلت باعتقالي، وابلغني انه سيوصي بي معارفه لمساعدتي، أما والدي ومن دون ان يعرف بالموضوع قال ان اولاد عمومتك واقاربك ومعارفك يبذلون كل ما بوسعهم لكي لا يلحق بك أي أذى ولذلك يا ولدي ارجو ان لا تفكر بأمر يسبب المشاكل لعائلتك، لأن هؤلاء قد يعتقلون حتى النساء من اهلنا بسببك، وفي الصباح ارسلوني مخفورا مع ضابط برتبة ملازم يدعى ناصر الحديدي من اهالي الموصل بعد ان اوصاه بي امر الفوج، فوصلنا موقع الاعتقال الاولي وهو مقر كتيبة دبابات الرابعة مقرها في الموصل وامرها المقدم جابر حسن حداد من كربلاء الذي حين كنت امر حماية الزعيم كان هو امر سرية المقر في الفوج الثاني الآلي ويحمل الكثير من المحبة لي، وبالمناسبة تم اعدامه فيما بعد عام ١٩٧٠ ضمن ما سميت بمؤامرة عبد

الغني الراوي، وكانت ضمن اجراءات الكتيبة مع أي معتقل حالما يصل يقومون بالاعتداء عليه وتعذيبه، لكن الرجل نادى على ضباط الكتيبة وطلب ان لا يعتدي عليّ أي احد وتخصيص غرفة اعتقال خاصة لي وعدم ادخالي مع غرفة الموقوفين، وفي اليوم الثالث ارسلوني مخفوراً الى محطة قطار الموصل، وعند الصباح دخلنا بغداد ثم الى السجن العسكري رقم واحد في معسكر الرشيد "مقر التحقيق" الذي كان مسؤولاً عنه النقيب حازم الأحمر "الدباغ" ومعه بعض الضباط واحدهم من دورتي اسمه عادل الخشاب، وحالما وصلت تعرضت للتعذيب والتجاوز، ثم أودعوني ضمن المجموعة الثامنة في غرفة رقم ثلاثة، كانت مساحة الغرفة تقريبا ٣ X ٤ متر لكن عدد الموقوفين بالاضافة لي ٤٠ موقوفاً، بعضهم من ضباط دورتي بينهم خالد ناصر وقاسم سليم وآمر سرب التاسع خالد سارة وهو الضابط الذي قصف مقر عبد الوهاب الشواف اثناء انقلابه على الزعيم عام ١٩٥٩ وعدد من الطيارين.

وضع المعتقلين وقصة حمامة..

هل بامكانك وصف حالكم داخل تلك الغرفة؟

اساليب تعامل الانقلابيين معروفة للجميع سواء داخل المعتقل او خارجه، فهم لا يتورعون عن ممارسة كل صنوف الأذى والتعذيب النفسي والجسدي، فمثلاً في داخل غرفة اعتقالنا وضعوا صفيحة معدنية لقضاء الحاجة وهي حالة ماساوية ومزرية، كما أن حفلات الضرب والسب والإهانة مستمرة دون توقف، وكان يشرف على التعذيب النقيب الركن طه الشكرجي، هذا الرجل المملوء ظلم وحقد وكراهية لكل الوطنيين، ومعه ضباط مساعدين بينهما ضابط اعاشة طه حمو ومخلف عزيز، وكان مقرهم الخاص بالتعذيب يقع في الدار الحكومية لرئيس اركان الجيش في العهد الملكي الفريق رفيق عارف ويقع في داخل معسكر الرشيد قريباً من النهر ويشرف عليه النقيب الركن الشكرجي، وحالما يصلهم المعتقل يقومون بربط يديه الى الخلف ويصعدوه فوق طاولة فوقها مروحة سقفية ويتم ربطه بها ثم تسحب الطاولة ليبقى

المعتقل معلقاً، ثم تدور بهم المروحة طيلة مدة التعليق مع استمرار الضرب بالعصي واطفاء سكائر نوع كريفن بالاجساد وفي المناطق الحساسة، لأن هذا النوع من السكائر تتميز بجمرتها الحارقة، وبعد ستين دقيقة يتم انزال المعتقل الذي يضطر للتوقيع على اوراق معدة سلفاً، لذلك كان العديد من المعتقلين يوقعون على تلك الإفادات الجاهزة قبل تعليقهم ليتخلصوا من التعذيب المؤلم جداً، واتذكر أحد الضباط من الأخوة الكرد المعتقلين علقوه مرتين طالبين منه الاعتراف على اسمه الحزبي فقال لهم هل تقبلون ان يكون اسمي الحزبي كإسم طير معين فقالوا نعم، عندها أخبرهم مضطراً بأن اسمه حمامة، وتم الحكم عليه لمدة سنة، أما أنا فبالرغم من قيام ابناء عشيرتي بالتوسط لي وقيامهم بتهديد ادوات الانقلابيين وزبانيتهم، لكن الشكرجي علقني بالمروحة في احدى المرات، كنت في داخلي فرحاً اثناء التحقيق لان الاسئلة كانت عن الانتماء الحزبي من دون التطرق الى دوري في وزارة الدفاع وقتالي الى جانب الزعيم، وفي يوم ٢٢ حزيران ١٩٦٣ تمت احالتنا الى المجلس العرفي الاول الذي كان يرأسه المقدم نافع بطة والمدعي العام الملازم الأول راغب فخري الذي اعدمه صدام فيما بعد حيث وصل الى رتبة عميد وعمل مديراً للدائرة القانونية في وزارة الدفاع عندما اتهم بذكره نكتة على والدة صدام وهو في حالة سكر، فصدر الحكم بحقي لمدة سنة واحدة واخراجي من الجيش وكان من ضمن المجموعة التي مثلت معي امام المجلس النقيب صالح الجنابي الذي كانت تهمته القاء قصيدة للزعيم يعاتبه فيها لنقله الضباط الوطنيين وابعادهم وتقريب البعثيين والقوميين ومما جاء فيها "ما بال الرفاق يقتلون .. أبرصاص دمدم يقتلون"، وفي اثناء مثوله راح المدعي يكرر قراءتها الى ان حكم خمس سنوات لهذا السبب، وعندما رجعت الى المعتقل بعد اصدار الحكم تلقيت التهاني من باقي المعتقلين والتقبيل والعناق، لأنهم كانوا يتوقعون اعدامي.

قطار الموت وموقف اهالي السماوة والديوانية..

وفي غمرة فرحنا وبعد نحو اسبوع قام نائب العريف حسن سريع بحركته الانقلابية ضد عبد السلام عارف في ٣ تموز والذي كانت اهم خطوة يقوم بها اطلاق سراح الـ١٦٠٠ ضابط المعتقلين في سجن رقم واحد، لغرض اكمال الثورة من قبلنا، لكن فشل حركته ادت الى اتخاذ انقلابيي شباط قراراً بنقلنا الى نقرة السلمان من خلال قطار الموت بعد ان كدسوا في عرباته جميع المعتقلين وهم من خيرة الوطنيين العراقيين، واغلقوا ابواب العربات، وكان قرارهم هذا يعني فناءنا اختناقاً أو في حال وصولنا او بعضاً منا احياء الى السماوة يتم قتلنا هناك بحجة اننا حاولنا الفرار وان الحراس اضطروا الى اطلاق النار علينا، وبالفعل عند الساعة الثامنة صباحاً وصل قطار الحمل الى معسكر الرشيد، واخبروا سائق القطار، الذي يدعى عبد عباس المفرجي بان العربات سيتم شحنها بمواد كيمياوية سريعة الانفجار ولذلك اوصوه ان يسير ببطء، بهدف اطالة المسافة لكي نموت جميعاً، وكان عددنا كوجبة أولى ٦٠٠ ضابط، بمعدل كل اربعين معتقل في عربة، ولحسن الحظ كان معنا في نفس العربة اكفأ طبيبين في العراق وربما في الشرق الأوسط، وهما العميد الجراح رافد صبحي وصهره المقدم الطبيب قتيبة الشيخ نوري، وابقونا السجانون بملابسنا الداخلية فقط حالما صعدنا، وأوثقوا ايدينا الى الخلف، ثم رشوا كل عربة من عربات القطار بمادة الزفت أو دهن سيارات قديم لكي تزداد حرارة العربات، وبسبب ارتفاع حرارة الجو وقلة الاوكسجين اصبحنا ننضح عرقاً بشدة اضافة الى ان بعضنا اشرف على الاختناق، وبالرغم من تعالي اصواتنا وصياحنا وطرقنا الشديد على الأبواب الا انه لا احد يستجيب، ولكن عندما وصلنا الى مدينة الديوانية قام الأهالي هناك الذين كانوا بمنتهى الوطنية والخلق باخبار السائق بحقيقة ما يحمله القطار، فما كان من السائق الشهم الا الانطلاق بأسرع ما بوسعه ومن دون توقف وذلك من الديوانية الى السماوة التي وصلناها قبل السادسة عصراً، وكان الدكتور رافد قد طلب منا ونحن في العربات نعاني شدة الحرارة ان نقوم بخلع الفانيلة ونمتص العرق منها لكي لا نفقد الأملاح، وعندما وصلنا السماوة استقبلتنا

المدينة عن بكرة ابيها نساءً ورجالاً وهجموا على "الفاركونات" بحيث كسروا الاقفال وفتحوا ابواب العربات واخرجونا منها، وهنا صاح الدكتور رافد "لا تعطوهم الماء فقط بل الماء والملح" ولم يفارق الحياة في الطريق سوى ضابط من الأخوة الكرد يدعى الرائد يحيى نادر، وتجمعت علينا العائلات السماوية وقامت بتدليكنا وانقاذنا من الموت المحقق، وسط دعواتهم بالسلامة لنا، وكان موقف لا ينسى ابداً، ولو تحدثت طوال عمري عن اخلاق وشهامة وطيبة ابناء السماوة لما وفيتهم حقهم جراء وقفتهم معنا، ولكني اقول رحم الله اهلها وجزاهم كل خير، علماً ان الحرس القومي كانوا واقفين لكنهم خافوا من الأهالي، ثم تم نقلنا الى معتقل الى نقرة السلمان الذي وصلناه قبل الساعة الثانية عشرة مساء.

في معتقل السلمان..

يستمر العزاوي في سرد احداث تلك الحقبة المظلمة... كان على رأس مستقبلينا في المعتقل السجين الشاعر مظفر النواب ومسؤول الخط العسكري للحزب الشيوعي الرائد شعلان،وآخرون وقاموا بتضييفنا بما تيسر بايديهم من مرقة البصل والخبز التي كانت بسبب جوعنا من اطيب ما اكلناه، ثم نظموا لنا احتفالية خاصة لمناسبة وصولنا، ثم ابلغنا أفراد حرس السجن بأن ابواب السجن نادراً ما يتم غلقها إذ أن من يحاول الهرب تأكله ذئاب الصحراء في الطريق، وبالفعل هناك ضابط من الموصل يدعى الملازم الأول صلاح كان محكوماً بالاعدام هرب من السجن وساعدناه في ذلك بعد أن حملناه فوق ظهورنا لكي يعبر سياج المعتقل، ولكنه مات في الطريق بعد ان أكلته الذئاب الكثيرة المنتشرة انذاك في الصحراء المحيطة في السجن، وجدير بالذكر أن الأطباء المعتقلين كانوا يقومون بمعالجة حرس السجن وعائلاتهم بسبب بعد المسافة بين المعتقل ومدينة السماوة، الأمر الذي خلق علاقة ودية معهم، علما ان عدد السجناء في نقرة السلمان بلغ في حينها اكثر من ٢٦٠٠ سجين، وبحراسة مجموعة من الحرس القومي يرأسهم شخص من بغداد يدعى سليم الزيبق الذي شارك بمحاولة اغتيال الزعيم في العام ١٩٥٩، اضافة الى اربعين شرطياً، وجرت العادة ان تكون هناك ممرضات

خافرات بالتناوب يأتين من صحة السماوة وكانت تلك المرضات يختلقن الأعذار لكي لا يأتي يوم خفارتهن بسبب تجاوزات الحرس، ولكن بعد مجيئنا الى المعتقل ومعرفتهن بوجود خيرة الأطباء والضباط والسياسيين مع المعتقلين تغير الحال بالنسبة لهن ومما اتذكره انهن كن يجلبن معهن مختلف انواع الأدوية لنا بعد ان يخبئنها داخل صدرياتهن، كما بذلن جهوداً كبيرة من اجل ارسال مجاميع منا الى المستشفى بحجة تدهور حالتنا الصحية وهناك في المستشفى داخل المدينة نتنفس الصعداء بسبب الأجواء المختلفة عن المعتقل بكل شيء بالرغم من اننا نذهب الى هناك مخفورين وتحت حراسة مشددة لكننا نشعر بارتياح كبير، وعندما نعود الى المعتقل بعد اسبوع نجلب معنا من المستشفى ايضا مختلف انواع الادوية التي نخبئها داخل ملابسنا، بحيث اجرى دكتور رافد اجرى ثلاث عمليات زائدة دودية لمعتقلين داخل السجن ونجحت عملياتهم وبدون تخدير، كما انه أقام دورات تدريبية لبعض المعتقلين في المجال الطبي لغرض معالجتهم للحالات الطارئة بسبب اعداد المعتقلين الذين توزعوا على قاعات السجن العشر، اضافة الى السراديب الموجودة داخل المعتقل، وبعد ان اكملت سنتي فيه نقلوني الى سجن الحلة الذي كان ممتلئاً ايضاً بالمحكومين، ونتيجة امتلائه ادخلوني مع اثنين من المعتقلين داخل غرفة المعدومين، بحيث ارى حبل المشنقة يتدلى امامي، علماً أن عائلات مدينة الحلة كانوا يجلبون الفرش اضافة الى الفواكه والخضر والماء الى نزلاء سجن الحلة المركزي على حسابهم الخاص فكانوا تعبيراً حقيقياً لإنسانية العراقي الشهم وكيف لا وهم درة الفرات الأوسط.

التخطيط لإسقاط عبد السلام عارف

وماذا بعد انتهاء محكوميتك؟

حال اكمال اجراءات مغادرتي السجن بعد انتهاء محكوميتي وتكفلي من قبل ابن خالي علي مجباس حتى بدأت بالتفكير جدياً للعمل من اجل الإطاحة بعبد السلام عارف وجماعته الذين انهوا مستقبل العراق وقضوا على حياة

الزعيم الشهيد قاسم والاف الشرفاء وزجوا في السجون والمعتقلات الاف غيرهم، فبدأت بالتحرك على الضباط الوطنيين المحبين للعراق والزعيم وعلى كل من اعتدوا عليه وعلى عائلته لغرض اعداد الخطة للانقلاب، فشكلت مجلس قيادة اللجنة الثورية وانتخبوني رئيساً له وكان يضم بالاضافة لي كل من العقيد الركن سليم الفخري والرائد الركن نوري اسماعيل والرائد الركن انور محمود "الحجي" والرائد الركن نجم عبد الامير والرائد سعيد مطر كاظم والملازم الاول حامد مصطفى مقصود وم. اول عبد الامير عليوي الجاسم وم. اول طيار عبد النبي جميل وضابط الشرطة جواد قرطاس والمدني عبد الحسين منذور.

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت التنسيق مع رفاق سابقين ونلتقي بشكل دوري في احدى المقاهي الواقعة على نهر دجلة في شارع النهر وكانوا مكونين من "القاسميين - الحزب الفاطمي - قواعد الحزب الشيوعي - قوى كردية - جماعات مستقلة"، لان التقارب بين عارف وخروتشوف الذي تم بوساطة عبد الناصر جعلت قيادات الحزب الشيوعي توقف اي نشاط مناهض للسلطة تقريباً، في حين بلغت القواعد الشيوعية الفلاحية والعمالية التي انضمت معي اكثر من ١٤٠ قاعدة، اما الذين تطوعوا بصفة فدائيين فقد بلغ عددهم اكثر من ٨٠٠ فدائي كان في نيتي عند بدء الانقلاب ارسال ٢٠٠ منهم لاحتلال الاذاعة ومثلهم لاقتحام معسكر الرشيد لكي يلتقوا مع الضباط الذين سيحتلون المعسكر و ٤٠٠ اخرين قررت ان يستقلوا ٤٠ زورق عبر نهر دجلة ويقتحموا القصر الجمهوري من خلال شارع ابو نؤاس الذي كان يمتلئ بالكازينوهات والنوادي، ورتبت الامور ان يستخدموا الدفوف وترديد الاغاني مع وجود عائلة معهم في كل زورق لغرض التمويه على ان الزوارق ترفيهية من اجل عدم اثارة اية شكوك، كان مخطط للتنفيذ يوم ٣٠ تموز ١٩٦٤، استطعنا سرقة ٤٠ هوية عائدة لعناصر حزب الاتحاد الاشتراكي الذي يراسه عبد السلام عارف، وحاملوها لا احد يقوم بتفتيشهم او محاسبتهم، اضافة الى ٤٠ هوية عائدة الى موظفي مصلحة نقل الركاب، وكان من المقرر ان اذهب يوم ٢٧ تموز الى مدينة جمجمال لألتقي بالرائد سعيد

مطر ومعه عدد من الضباط ومنحهم الهويات الخاصة ببعض افراد العملية هناك ليأتوا الى بغداد من خلالها في اليوم التالي وهم مطمئنون، في حين اكملنا تهيئة الاسلحة التي سننفذ بها واستاجرت دارين في مكانين كوكرين للتنظيم واسكنت فيهن عائلتين لكي لا تثار حولهن الشكوك، واتفقنا ان تكون ساعة الصفر في الساعة الثالثة الا ربعاً من فجر ٣٠ تموز لان هذه الربع ساعة السابقة للثالثة لغرض استغلال فرصة التبديل بين نوبات الحراسة الخاصة بالقصر، كما اخبرت المجاميع بان ينفذ كل منهم واجبه سواء سمع بيان الانقلاب من الاذاعة او لم يسمعه، ولكن وبشكل مفاجئ زارني ظهر يوم ٢٥ حزيران احد مسؤولي الحزب الشيوعي من اهالي زاخو واسمه كوري ازاد ومحكوم غيابياً ٢٠ سنة، وكان يحمل رسالة شفوية من القيادات الشيوعية تدعوني الى عدم تنفيذ عملية الانقلاب، مؤكداً ان الشيوعية العالمية سوف لن تؤيد اي حركة مناوئة للحكم في العراق في الوقت الحاضر وستقف بالضد منها، فاخبرته بتصميمي على التنفيذ وشددت على اني قبل ان احاسب الاخرين الذين اسقطوا ثورة تموز فسوف احاسب القيادات الشيوعية التي لم تتخذ اي اجراء مدروس للتصدي الى الانقلابيين قبل شروعهم بانقلابهم المشؤوم في شباط ١٩٦٣، بسبب انتهاجهم سياسة ازدواجية مع الزعيم "لا وياه ولا عليه" مما ادى الى حصول ما حصل من كوارث لاحقة، وما أن غادر المكان، اذ يبدو انه كان مراقباً، حتى طرقت الباب بحدود الواحدة والنصف ظهراً مفرزة من الانضباط العسكري مكونة من حضيرة يقودها النقيب كريم محمود وذلك يوم ٢٦ حزيران وحين فتحت الباب لهم سألوني فيما اذا كان شاكر العزاوي موجود أم لا، فطلبت منهم ان اتاكد من وجوده في الداخل، وبشكل سريع حاولت التسلق من خلف بيتي الذي استاجرته، وسكنت فيه بمنطقة الشعب ببغداد، لكي اهرب بعيداً ولكن ما ان القيت نفسي على الارض حتى التصق جسمي بمادة الزفت والقير الذي يكسو الشارع حيث كان في طور التبليط تواً، لذلك سارعت المفرزة الى اعتقالي وتوجيه مختلف انواع الضربات لي بين اللكمات والرفس، وتوجهوا بي بسيارة فوكس واكن الى الدفاع ومن هناك الى الامن العامة الذين قام افرادها بحدود الرابعة

عصراً بتعليقي في المروحة وشد عينيّ، ثم حضر رئيس مجموعة المحققين وهو عضو سابق في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المنشق مالك سيف اذ سبق ان جلبه الانقلابيون للاستفادة منه في التحقيقات التي تتم مع المعتقلين، وبعدها حضر مدير الامن العام المقدم الركن رشيد محسن، وعندما تعرّف عليّ خاطبني بلطف ولامني على مواقفي السابقة ومحاولتي الانقلاب على الحكم، ثم فتح وثاقي ورفع قطعة القماش عن عينيّ وأوصى بي السجانين، ووضعوني في زنزانة مساحتها متر X مترين بقيت فيها اسبوعاً طعامي رغيف خبز وعشر فردات تمر ليوم كامل، الى ان ارسل بطلبي مدير الامن العام قائلاً "شاكر اريد منك كلام شرف بعد ما الك علاقة بالسياسة"، ثم سألني عن سبب اقدامي على التخطيط للمحاولة الانقلابية، اخبرته بالقول ان "جماعتكم ما خلو شي ما سووه .. قتل واعتقال واخراج من الجيش لجميع خصومهم، بحيث حتى طالبنا الحكومة نصير جباة بامانة بغداد بعشرة دنانير شهرياً ما قبلوا نشتغل الا بموافقة الأمن، نروح للامن ميقبلون"، وعندما سمع حديثي معه سكت، وعرفت فيما بعد انه نقل ما حصل بيننا الى عبد السلام عارف والى رئيس الوزراء طاهر يحيى، وبعد يومين من المقابلة وبحدود السادسة والنصف مساءً اوثقوا يديّ ورجليّ مع حرس من الشرطة والانضباط مكون من افرادعدة فظننت انهم ذاهبون بي الى الاعدام، رجوتهم ان يمهلوني لأكتب وصية لأهلي اوصيهم بعائلتي وولديّ عامر وأركان، غيرأنهم طلبوا ان لا استعجل بالحكم على الامور ثم اتجهت السيارة الى وزارة الدفاع، ففوجئت بوجود رئيس الجمهورية جالساً في نفس مكتب الزعيم عبد الكريم قاسم ومعه طاهر يحيى ومدير الاستخبارات العقيد الركن هادي خماس ومدير الأمن العام المقدم الركن رشيد محسن وآمر الانضباط العسكري سعيد صليبي ورئيس اركان الجيش عبد الرحمن عارف، قلت مع نفسي قبل ان ادخل المكتب "يا الله يا علي"، وعلى الفور طلب عبد السلام أن اجلس امامه، وسألني "شنو تشرب" قلت سيدي لا اريد شيئاً لانه سبق ان شربت شاي في الأمن وتم تخديري، بدأ كلامه مستغرباً من الخطة التي اعددتها للانقلاب التي لا تخطر على بال وليس من المتوقع ان يخطط

ضابط برتبة صغيرة لمحاولة انقلابية خطيرة كهذه، مبينا أنه كان يخشى من العديد من الضباط الكبار للانقلاب وليس من ضابط شاب، طلبت منه ان يتقبل مني صراحتي، فاسترسلت بالحديث عن سبب محاولتي الانقلاب بعد ان وجدت نفسي مع خيرة الضباط الوطنيين خارج المؤسسة العسكرية بالرغم من أنني ضابط خريج كلية عسكرية "مثلك يا سيادة الرئيس" لقد حاربتنا سلطتكم في رزقنا ومهنتنا ورميتمونا في الشارع بلا ذنب اقترفناه. ثم سألته لماذا انقلبت انت على الزعيم مع انه حوّلك الى منصب اخر ولم يخرجك من الجيش في البداية، ثم ان اخاك ابو خالد... قاطعني ليقول: تقصد اخي الأكبر جمال عبد الناصر؟ قلت .. اخوك جمال كان حين يعاقب ضابط يقوم بمنحه استحقاقه ويضمن له مستقبله ومستقبل عائلته، فلماذا لم تقتدوا به، وواصلت كلامي عن رفض تعييني في اي مكان، حكيت له كيف ان ولديّ الصغيرين يسالاني دائما عن السبب الذي اصبحت لا اجلب لهم ما يشتهون كما كنت في السابق، واوردت له امثلة واحاديث نبوية عن قطع الأرزاق وخطورتها وإثمها، أليس النبي محمد "ص" يقول من رضي من امتي بالذل والمسكنة يجب ان يعامل معاملة العبيد، وقوله "قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق، التفت عارف الى مدير الامن العام قائلاً .. رشيد هذا حرامات ينعدم.. هذا بعده ملازم اول وهيج عنده ايمان، تشجعت لأواصل ما بدأت به فاخبرته اني كنت انوي في اول عمل اقوم به هو زيارة مرقد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وارسال الف شخص من الذين تضرروا في شباط ١٩٦٣ من النجف الاشرف الى مكة المكرمة، والطريق بين الكوفة والنجف الاشرف اقوم بزرعه بالورد والرياحين واشجار الزيتون لكي يترجل ماشيا الزائر من الكوفة الى النجف، واجعل النجف الاشرف العاصمة الدينية واربيل العاصمة الصيفية، كان عبد السلام ينصت لي مبتسماً ثم امر بايقاف التعقيبات القانونية ضدي وإعادتي الى الجيش واعفاء ٤٥٠٠ سياسي ومعتقل ومن هم خارج الوظيفة واعادتهم الى الوزارات والمؤسسات المدنية الخدمية، كما طلب لي عشاء كباب، وأوعز ايضاً ان تجلب لي بدلة عسكرية حالاً، وكان هناك خياط باكستاني متميز صاحب خياطة بلقيس قرب

الدفاع يستورد اقمشة انكليزية فاخرة، وبالفعل جاؤوا لي حتى بالرتبة العسكرية وحذاء نوع دولسز انكليزي ايضاً، وجواريب وصدارة مع علامة المشاة، ثم وضع مدير الامن العام عشرة دنانير في جيبي، فغادرت الوزارة الى دار اهلي في العزة بحدود الواحدة مساء وانا ارتدي بدلتي الجديدة، طرقت الباب واذا بأمي من على سطح الدار حيث كان ينام اهالي بغداد على السطوح لشدة الحر، "هاي شنو يا يمه اشو هم لابس بدلة عسكرية؟ شنو انت متجوز من سوالفك"، طلبت ان تفتح لي الباب بعد ان اخبرتها اني بخير، فاستقبلني الاهل جميعا مع زوجتي واطفالي غير مصدقين اني نجوت من الموت والاعدام والسجن، فتوجهت بهم صباح اليوم التالي مباشرة الى زيارة سيدي الامام علي عليه السلام ثم الى الكوفة مقبّلاً تراب داره، لألتحق بعدها ضمن الفرقة الثانية في شمال العراق في اقصى نقطة تدعى سرسير اصعد لها من خلال البغل في رحلة تستغرق ثلاث ساعات، فتدرجت في الجيش بالرغم من تأخر ترقيتي لسنوات عدة الى أن تسنمت منصب أمر لواء ١٠٤ وانا وقتها برتبة عميد لحين احالتي فيما بعد على التقاعد برتبة لواء في حين كنت استحق رتبة فريق.

جولات مع الزعيم وحكاية السقيفة وعبد الناصر..

الان دعنا نتحدث عن جانب مهم في حياتك العسكرية تتضمن مشاهداتك خلال مرافقتك الزعيم عبد الكريم قاسم خلال سنتي ١٩٥٨ و١٩٥٩؟.

بعد صدور الأمر بتشكيل لواء مسؤول عن خطة أمن بغداد والذي لم يكتمل منه سوى فوج مع كتيبة دبابات، تم نقلي الى الفوج الخاص بحماية الزعيم الذي كان آمره العقيد الركن عبد الجبار شنشل، الفوج الثاني الآلي ضمن اللواء العاشر المدرع، واصبحت آمر السرية الأولى ضمن الفوج، وكانت سريتي ترافق الزعيم اينما يتوجه، فاذا كانت وجهة الزعيم قريبة كنت اخذ معي فصيل لهذا الغرض، اما اذا كانت بعيدة فكنت اوفّر سرية لتوفير الحماية له، وكانت اول مهمة لي عندما اتصل بي المقدم الركن جاسم العزاوي

سكرتير الزعيم طالباً تهيئة حماية لكون الزعيم سيتوجه الى منطقة خلف السدة التي يسكنها الفقراء والمعدمين، وسبق ان قلت اني كنت المسؤول عن حمايته اثناء جولاته الخارجية فقط، وذلك عندما يتم الاتصال بنا من قبل الدفاع في حال حاجة تستدعي توفير الحماية له، ونكون أمامه على مسافة ليست قريبة، كذلك الأمر في حال انتهاء جولته فاننا نتاخر عنه بذات المسافة، وبالفعل اخذت فصيل حماية الى هناك لانتظر قدومه، وذلك بحدود الواحدة والنصف مساءً، وكان معه في سيارته ثلاثة فقط السائق والحماية، فنزل امام دار مكونة من غرفة طين وصريفة من غير كهرباء ولا ماء، وتجلس في وسطها امرأة عجوز ومعها اولادها وهم كبار سن، توقف قربها وكنت على مقربة منه، سلم عليها "مرحبه زايره" ردت عليه "هله يمه" وبالطبع العجوز لا تعرف من الذي امامها، فسالها قائلاً "زايره الحكومة مو ملكتكم الارض اشعجب ما بانين"، اجابته بالنص "يمه هو هذا المخبل صاح نطانه كاع بس بيش نبنيها، منين نجيب فلوس"، فسألها عن مقدار المبلغ الذي يمكنها بواسطته بناء سياج للدار، فحددت بين ٣٠ - ٥٠ دينار كاقصى حد، وهنا التفت لي بعد ان كان يبحث عن اي مبلغ في جيبه ليجد خمسة دنانير فقط فقال "شاكر.. ابني هاي خمسة واخذ سيارتك روح للدفاع للسكرتير جاسم العزاوي وبأي طريقة تسويهن خمسين دينار واني انتظرك هنانه وتعال بسرعة"، وخلال اقل من نصف ساعة ايقظت السكرتير الذي كان يناديني بإبن الشيخ، فأخبرته بالأمر، وكان جوابه بأن الزعيم لم يظل من راتبه اي مبلغ بعد ان وزع راتبه على الفقراء، لكنه فتح قاصة فوجد فيها ١٢ ديناراً فقط، ووضع من جيبه خمسة دنانير كذلك، وضابط الخفر اضاف مبلغ خمسة دنانير ايضاً الا ان الرئيس الخفر الوحيد الذي كان في جيبه عشرة دنانير حيث كان تسمى انذاك نوط ابو العشرة نظراً لحجم المبلغ، علماً ان راتبي كان ٣٠ ديناراً واثر زيادة الرواتب بعد الثورة اصبح ٤٢ ديناراً شهرياً، وكان راتب المعلم في تلك السنين ١٨ ديناراً تجعله في عيش محترم، والشرطي سبعة دنانير، ثم جمعنا الباقي من الحانوت ومن الحرس والانضباط الى ان اصبح المبلغ خمسين دينار فوضعته داخل كيس "مقوّى" سلمني اياه جاسم

العزاوي وخبأته تحت قميصي الذي مازلت احتفظ به لحد الان، وغادرت مسرعاً وزارة الدفاع نحو الساعة الثانية والنصف مساءً، ومن يدي الى يد الزعيم الى يد العجوز، ولأنه كان يوصيني ان لا اسير بمسافة قريبة منه وانما اتاخر على الاقل خمس دقائق، فقد بقيت قرب العجوز بعد ان غادرها، وفي الحال انهال اولادها عليها باللوم والتأنيب وهي مستغربة من تصرفاتهم مع انها جلبت من الرجل هذا المبلغ الكبير، فصاحوا بها "هو انت عرفتي منو هذا الرجال" قالت لا، فقالوا لها "هذا اللي كلتي عليه مخبل هذا الزعيم"، فظلت تلوم نفسها، وفي الصباح كنت اطالع احدى الصحف فقرأت قرار الزعيم بتخصيص مبلغ اكثر من ٨٤٠ دينار للعوائل لبناء دور سكنية، او انتظار شهرين او ثلاثة اشهر وتتكفل الدولة ببناء دور جاهزة لهم بعد ان تم تبليط الشوارع لهم ومد انابيب المياه والكهرباء والخدمات، وخلال اسبوع اكتملت خطوط الكهرباء في المدينة بعد عمل ليل نهار، بحيث تم بناء مدينة الثورة مع البنى التحتية والمؤسسات الخدمية خلال ثلاثة اشهر.

لماذا خلع الزعيم رتبته وصدارته وارتدي اليشماغ؟

مما اتذكره جيداً في أحدى الليالي اتصلوا بي مساء الواحدة والنصف فوصلت الى الوزارة في الساعة الثانية مساء، كانت جولته الى الأفران التي كانت تعمل منذ الليل الى الصباح، توجه الزعيم الى مدينة الكاظمية التي فيها اعداد كبيرة من أفران الخبز والصمون وذلك لكثرة الزوار والمواطنين العاملين منذ الصباح الباكر وخاصة عمال البناء، وعند عبور الزعيم جسر الأئمة غيّر الزعيم قيافته للتمويه، اذ ارتدى اليشماغ بدل الصدارة ونزع رتبته العسكرية وكنت جالساً معه في نفس السيارة، ثم توقف عند أحد الأفران ويدعى فرن صمون ابن جوير وبمسافة ٤٠ متر لكي لا يجلب الانتباه ثم ترجل ماشياً حتى وصل الفرن وأنا على مقربة منه بدون حماية، وهنا أخذ الزعيم شنكة الصمون ووزنها فوجدها ناقصة قليلاً عن ما هو مقرر لوزنها انذاك من قبل مديرية الحبوب العامة وكان صاحب الفرن جالساً

ويراقب الوضع وفي الحال سأله الزعيم عن سبب النقصان والتقصير فأجابه بأن مديرية الحبوب وراء ذلك لأنها تعطي الحصة ناقصة، ثم أردف قائلاً "سيادة الزعيم أنا وعمالي وأهلي نحبك بدليل أنظر الى صورتك الكبيرة أمام الفرن، وهنا ردَ عليه "اذا انتم تحبوني كبروا الشنكة وصغروا صورتي"... هكذا كانت اخلاقه رحمه الله وهكذا كان يسهر ليله من اجل الناس وأمنهم وقوتهم وسلامتهم.

وقبل ان يصعد سيارته طلب ان اصعد معه في نفس السيارة فتوجهنا الى منطقة البتاويين التي كانت زاخرة بالافران والخبازين من جنسيات مختلفة، وكانت نفس المشكلة وهي نقص الوزن، فعدنا الى الدفاع في وقت متأخر وبقيت معه بعد ان وجهت افراد الحماية بالعودة الى مقرهم في معسكر الرشيد، وبعد الساعة الرابعة فجراً أمرني بجلب مدير الحبوب حالاً، قلت سيدي الان الوقت متأخر، فبدت على ملامحه حالة امتعاض من ردّي، إذ أن العسكر لا يودون رداً مثل هذا، ذهبت الى هناك في منطقة الوزيرية حيث يسكن، كان الرجل نائماً وعندما أخبرته أن الزعيم يطلبه شعر بخوف شديد، وظل يسألني عن السبب، طمأنته بالقول إن الزعيم يرحم حتى اعدائه فلماذا انت خائف، من دون أن أخبره بسبب استدعائه، كنت أنا واياه في سيارة عسكرية كاز قيادة، لنصل الى الوزارة بعد الساعة الرابعة والنصف فجراً، وعندما سأله عن سبب النقص اخبره بأن وزير المالية هو السبب، فأمره بأن يمنح الأفران ضعف حصتهم وانه سيخبر الوزير بذلك، عدت بمدير الحبوب مرة اخرى الى بيته وكان فرحاً بعد ان تبددت مخاوفه وقلقه.

ومما أتذكره ايضاً أن الزعيم عبد الكريم قاسم كلما يصل لافتتاح مشروع ما تقوم الجماهير المحتشدة بحمل سيارته عن الأرض، وخاصة في الكاظمية والكرادة، وذلك لفرط محبة الناس لهذا الرجل، وهو ما اثار غيرة وحقد وضغينة منافسيه في الداخل والخارج.

ولا انسى ايضاً جهده الكبير حين رافقته في جولاته مع امين العاصمة وبعض المسؤولين في السنة الأولى للثورة لكي يختار مساحة من الأرض يشيد عليها جامعة بغداد لحين قرر اختيار المكان في الجادرية، واتذكر أن امين العاصمة

همس في اذنه يرجوه ان يبني داراً سكنية له في ذلك المكان الذي يعد أشبه بجزيرة تحيط بها مياه نهر دجلة من ثلاث جهات وبعيد عن ضوضاء المدينة وضجيجها، لكنه رد عليه بالقول أن ابنائي الطلبة واخوتي الاساتذة الجامعيين احق مني بهذه الأرض، وعندما اعترض عليه البعض حين جعل رئيس الجامعة الدكتور عبد الجبار عبد الله باعتباره من الطائفة الصابئية رد عليهم قوله المشهور "اني مو مخليه امام جامع وانما رئيس جامعة".

كما رافقته مع سرية الحماية في جولته خلال توزيع سندات ملكية الدور للقرية النموذجية للفلاحين في اللطيفية التي تتكون من منزل للعائلة وحظيرة للحيوانات ومخزن للمحاصيل مع الخدمات، واتذكر ان الفلاحين اقاموا وليمة غداء احتفاء بقدومه، لكنه للمجاملة واحتراماً لهم تناول لقمة واحدة وغادر المكان طالبا ان اترك الجنود يكملون غداءهم قائلاً "خطيه تعبوا اليوم عوفهم يتغدون واني راجع لبغداد".

وفي احدى المرات اتصل بي سكرتيره جاسم العزاوي وابلغني بأن الزعيم يطلبني، وبالفعل جلست في مكتب العزاوي وكان حينها في مكتب الزعيم وفد من القاهرة برئاسة عسكري يدعى اللواء حسن موفد من قبل عبد الناصر وذلك في العام ١٩٥٨، وكنت اسمع الحوار الذي يدور بين الجانبين، حيث نقل الوفد المصري طلب عبد الناصر لارسال فرقة عسكرية عراقية لترابط قرب دمشق، وهنا رد عليه الزعيم بمدى امكانية توفير الحماية للفرقة خلال مسيرها من بغداد الى دمشق وضمان عدم استهدافها من قبل الطيران الاسرائيلي، وعبر له عن الاعتذار لتنفيذ الطلب، مقترحاً على اللواء حسن ان يوصل كلامه للرئيس، قال له اليوم هو الاثنين وانتظر الجواب من عبد الناصر الاثنين المقبل، واوضح له انه في حال هناك رغبة مصرية جادة بازالة اسرائيل وتحرير فلسطين فاني على استعداد لارسال ليس فرقة فقط بل كل الجيش العراقي وانا معه لهذا الغرض، اما غير ذلك فاني اعتذر، وبالطبع لم يصل الجواب له من عبد الناصر، وبعد ان انهى الوفد لقاءه دخلت الى الزعيم وذلك في شهر كانون الاول من العام ١٩٥٨، وبادرني بالقول "ابني عطلتك هواي"، ثم اخبرني بان سيارته بحاجة الى سقيفة للكراج الذي

تقف فيه داخل البيت الذي اتخذه مسكناً له وهو مستأجر من الدولة، واريد ان تذهب الى الاشغال العسكرية "مقابل الدفاع" وتاخذ احد الضباط المختصين لكي يحسب تكاليف العمل، فذهبت بالفعل الى العميد آمر الاشغال العسكرية حيث ارسل معي النقيب المهندس فاضل حينها لغرض الكشف. وبعد اجراء اللازم قدم كشفاً بالتكاليف التخمينية بمبلغ ٦٠ ديناراً، بعدها عدت للزعيم فكتب بنفسه كتاباً الى الحسابات العسكرية ونسخة الى وزارة المالية حول الموضوع، وبعد اسبوع جاءه الجواب وايضا ارسل بطلبي وقرأ رد وزارة المالية الذي رفض صرف المبلغ بسبب انتهاء السنة المالية، فهمّش عليه بكلمة "حفظ" وبعد مرور اسبوع اخر ومن راتبه البالغ ٤٤٠ دينار لكونه كان يتقاضى راتبه العسكري وليس السياسي وسلمني ٦٠ ديناراً لإكمال مهمة انجاز السقيفة، وبالفعل اكملت العمل حسبما اراد، وبقي من المبلغ دينارين. واتذكر في احدى المرات اتصل بي مكتب الزعيم فحضرت الى الدفاع وكانت مخصصة لي غرفة داخل الوزارة تابعة للشؤون الادارية، واثناء اجتماعه مع مجلس الوزراء الذي كان يحصل مرتين في الأسبوع ويبدأ في العاشرة مساء، طلبني الزعيم واوصاني بأخذ احد افراد المكتب لنجلب كباب للوزراء ليتعشوا به ومد يده الى جيبه وسلمني دينار، وبالفعل جلبت العشاء من مطعم قريب على ساحة الميدان داخل صينية تحتوي بحدود ٢٠ من اشياش الكباب، في وقت كانت كل اموال الدولة بيده لو شاء ان يستغلها كيفما اراد، لكن اخلاقه ونزاهته وتربيته ووطنيته تمنعه عن ذلك.

يوم مع الأمير عبد الإله وقصة البرحي..؟

واخيرا لنعد الى عهد الملكية قليلاً.. هل هناك موقف معين ظل راسخاً في ذاكرتك من حقبة العهد الملكي؟.

نعم.. اتذكر في الكلية العسكرية خلال العام ١٩٥٦ واثناء عطلتنا الفصلية البالغة ثلاثة اشهر، التي كنا لا نتمتع بها وانما يتم تدريب الطلبة في شمال العراق ويسمى "التدريب الاجمالي" وذلك بسبب اعتدال المناخ، وتوجهنا الى هناك نحن طلبة الدورة ٣٤ والدورة الأقدم ٣٣، وصادف ان كان الأمير عبد

الاله بن علي في مطار بامرني ثم يمر بمعسكر سكرين في طريقه الى قصره بمصيف سرسنك الذي يبعد عن منطقة سكرين التي نتدرب فيها مسافة لا تبعد ١٠ دقائق، حيث يقضي اجازة اثر زواجه من الاميرة هيام ابنة أمير ربيعة، وعندها القى فينا العقيد عبد اللطيف الدراجي باعتباره امر الفوج كلمة طلب خلالها ان نصطف على شكل سريتين، الأولى على يسار الشارع والأخرى تقابلها، من اجل الترحيب بولي العهد الأميرعبد الإله الذي سيمر قربنا بدءاً من منطقة بامرني الى سكرين ثم الى المصيف حيث قصره الذي كان في شهر العسل، وبالفعل وصل بسيارته التي كان يقودها بنفسه وتجلس بجانبه زوجته وهي ترتدي بدلة العرس وخلفهما ضابط صف في نفس السيارة، وحين اصبح في وسطنا ترجل من سيارته وقام بمصافحتنا جميعاً واحداً تلو الآخر، بدءاً من دورتنا ثم الدورة الأخرى، وخلفه الدراجي، ثم وجه الدعوة للجميع لتناول وجبة الغداء في القصر معه غداً وجبة من الطلاب وبعد غد الوجبة الثانية، وبالفعل في اليوم الثاني لزواجه ذهبت الدورة ٣٣ ثم دورتنا، مرتدين القميص الأبيض والبنطلون الخاكي والصدرة والحذاء الأحمر، وكان لديه طباخ تركي ماهر جداً، الذي قدم لنا مختلف أنواع الطعام الفاخر الذي لم نتناول مثله حتى في دورنا، وساعتها تذكرنا القصعة التي تقدم لنا في الكلية حيث لا نستطيع تمييز نوعها فيما اذا كانت باذنجان او بطاطا أو مرقة شجر لرداءة طعمها وقطعة صمون اسمر يابسة ولكل حضيرة مكونة من عشرة اشخاص قصعة تمن واخرى مرق، وفي الليل بدون تمن، والصمون لكل طالب ثلاثة يجب ان تكفيه طيلة اليوم، اذ نحتفظ بها في جيوبنا لحين وصول الوجبة اللاحقة لنستخدمها، بالطبع اجواء القصر وحدائقه وانواع الورود واعتدال الجو على جبل كاره وعيون الماء الزلال البارد، مع اطيب انواع الفواكه التي قدموها لنا بحيث تجاوزت ١٦ نوعاً بما فيها الكرز الذي لم نكن قد رأيناه من قبل وألذ الطعام جعلتنا نشعر بالفارق الكبير مقارنة بما نتناوله في كليتنا، لكن الغريب ان بعض الضباط من اهالي الموصل قالوا اذا سألكم الوصي عن رايكم بالاكل اخبروه بانه يعوزه تمر البرحي، وبالفعل حصل ذلك واخبرناه بما طلبه

منا الضباط، وهنا التفت الى الضباط وطلب عدم سحب الطلاب لكي يبقوا لحين ارسال طائرة "دوف" الى بغداد لجلب التمر الذي اشتهوه، ثم اتصل بالمطار وأمرهم بالذهاب الى بغداد وتحديداً الى اسواق كنو الواقعة في ساحة الرصافي بشارع الرشيد قريباً من وزارة الدفاع والتي كان يتسوق منها البلاط الملكي والمسؤولون، ولقد تاخرت الرحلة لحين وصول الطائرة الى بغداد ومن ثم الذهاب الى المحل للتسوق والعودة ثانية، وهنا حل المساء ليجلبوا ١٨ عذق تمر برحي، ولم تكن في المطار إنارة لكي يستدل عليها الطيار مما اضطر جنود الحراسة الى حمل الفوانيس واللايتات اليدوية على يمين ويسار المدرج بعد ان نادى الطيار بأن وقوده على وشك النفاد، ثم هبط بسلام بحدود التاسعة الا قليل، فهمنا بعد ذلك ان طلب الضباط بخصوص البرحي كان هدفه احراج الأمير، وقبلها طلب الأمير ان ارافقه مع احد طلاب الدورة وهو من اقاربي عبد القادر حسن العزاوي الذي توفي عام ١٩٧٠ بعد سلسلة من الاعتقال والسجن عقب شباط ١٩٦٣ ومن ثم اعتقال اولاده اضافة الى زميل ثالث من سكنة منطقة الفضل يدعى خالد ناصر، لكي نتجول داخل القصر ثم ادخلنا الى غرفة نومه قائلاً بمزحة "أنا لست قوياً مثلكم وانما ضعيف في جانب الجنس"، ومن غرائب الصدف أن يكون مقري كآمر فوج بعد مرور نحو ربع قرن في هذا القصر، وأن تصبح غرفة نومي نفس الغرفة ونفس الفراش والسرير، ثم جاء ببالي أن اتفحص نوعية الفراش الذي كان ينام عليه آنذاك "الدوشك"، وحين تلمستها جيداً فوجئت بأنها كانت من مادة ليف النخيل، ما جعلني "اصفن مع نفسي" إذ كيف لمن كان بمستوى ملكاً أن ينام على الليف.

لكن هنا يبرز سؤال هو اذا كان الأمير بهذا المستوى من التواضع فلماذا قتل، أو لماذا حصلت الثورة ضده؟

الثورة كان لابد منها، لأن وضع العراق وصل الى مستوى من التخلف والجهل والفقر والبؤس والتبعية الكاملة للأجنبي، ومعظم الناس كانت تسكن الأكواخ والصراف ولا تحصل على أدنى مستويات العيش الكريم، في وقت يتنعم البريطانيون والشركات الاحتكارية المستحوذة على نفط العراق

بخير البلد، ولا يمكن معالجة الأمر الا بتغيير جذري لهذا الواقع، ثروة العراقيين في العهد الملكي كانت تذهب لغيرهم وسيادته غير كاملة بل أشبه بدولة محتلة، أما قضية الاستقلال فكانت بالإسم فقط.

سؤالي الأخير هناك من يقارن بين الزعيم قاسم وغيره من الضباط امثال احمد حسن البكر وغيره ويرى انه مثل اي ضابط عراقي.. انت كيف ترى الفرق او ميزة الزعيم عنهم؟.

الفرق شاسع طبعاً والمقارنة صعبة بين الطرفين سواء من الجانب العسكري او الانساني، فالزعيم خريج كلية عسكرية وتدرج في الرتب بحسب الاستحقاق، اما البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح وغيرهم الكثيرون دخلوا الجيش ضمن المدرسة الحربية التي خرجتهم نواب ضباط ومن ثم منحوا رتبة ملازم وذلك بعد توسط مولود مخلص لهم من اجل القبول لكونهم من مدينته، ولهذا ظل هؤلاء يعانون من هذه العقدة طيلة حياتهم العسكرية، اما الفارق الانساني والاخلاقي والرجولي بين الفريقين فمعروف ولا داعي ان اتطرق له هنا، فالزعيم مواقفه معروفة وكتب عنها العديد من الكتاب والباحثين وتحدث عنها من عاصره بل حتى خصومه شهدوا بخصاله الفريدة، على العكس من البكر الذي حل بديلاً عنه اثر الانقلاب.

ونروي هنا ما حدث لأحد الاصحاب البررة للزعيم عبد الكريم قاسم وهو رئيس الإدعاء العام في محكمة الشعب العقيد ماجد محمد أمين اثناء الانقلاب الاسود..

في صباح يوم الانقلاب تأهب الشهيد للذهاب مع صديقه ابوشوكت لغرض الصيد فرن جرس الهاتف وتحدث احد الاشخاص معه فأعلمه بان هناك محاولة انقلاب ضد الحكم ، فدخل الشهيد على الفور الى غرفته واستبدل ملابسه، بملابس مدنية اخرى واخفى تحت قميصه مسدسه الشخصي، وقد أحس أنها ساعة الوداع الاخيرة قد حانت.. فقبل أطفاله الواحد بعد الاخر وهمس في اذن ولده رواء وقد اغرورقت عيناه بالدموع بان يهتم بوالدته وان يسمع كلامها ولا يخالف لها امرا" واوصى بقية أبناءه كذلك بهذا الامر..

خرج برفقة صديقه ابو شوكت الذي كانت سيارته (مسكوفج حمراء) ولم

يخبر أحد بوجهته، وقال لزوجته بأن سائقه الشخصي المرحوم كاظم سيأتي أليهم لنقلهم الى مكان آخر، كما طلب من جنود الحماية الموجودين قرب داره بعدم المقاومة حرصا" منه على حياتهم والذهاب الى عوائلهم فيما لو تعقدت واشتدت الامور.

حاول الشهيد الالتحاق الى مقر وزارة الدفاع فوجد إن الانقلابيين قد احكموا قبضتهم في تطويق الوزارة..

رجع الى دار أحد اقاربه وحاول الاتصال ببعض قادة الوحدات فلم يلتمس اجابة منهم...وبعد أن تأكد من سقوط وزارة الدفاع واعدام الزعيم ورفاقه وكان يوم شتوي بارد والوقت عصرا" تخفى وخرج من بغداد باتجاه بساتين الصويرة حيث كان لديه معارف لهم بساتين على ضفاف نهر دجله الضفه اليمنى ..ريف الصويرة . .. بعد بقاءه بضيافتهم يومين او ثلاث وبعد ان اوصل رسالة الى اخيه حامد .. وازدياد الضغط على مضيفيه .. قرر سلوك الطريق الوحيد بين الصويره والزبيديه وكان طريق ترابي في ذلك الوقت وعدد السيارات قليل جدا واصحابها معروفين في الزبيديه ..كان هدفه الوصول الى اخوه حامد محمد امين لطلب مساعدته وهو يمارس الفلاحه في اراضي تقع بين الزبيديه والنعمانيه ..سلك الطريق مشيا" من بساتين الصويره وقطع اكثر من ١٥ كم على الاقدام .. حتى وصل الطريق الترابي صادف ان مرت سيارة مارسدس ١٨ راكب قادمه من الصويره الى الزبيديه ..أشر الى السياره وصعد وجلس في الصف الاخير من الكراسي حيث لم يكن فيها الا خمسة ركاب والسائق (عطا ابو يوسف) من سكنة الزبيديه وكان ناصري الهوى لاكنه يميل الى البعثيين وهو يعرف جيدا" ماجد واخوه حامد ..كان ماجد متخفي بلبس عربي (دشداشه ..وستره والعكال والغتره).. من الركاب الخمسه كان شرطي يجلس بجانب السائق بعد ان سلم احد المحكومين الى شرطة الصويره ورجع مع السائق ..واحد الركاب معلم بعثي حرس قومي يحمل مسدس والثلاث الاخرين من القرى التي تقع على الطريق... كان السائق يراقب ماجد بالمرأة بعد ان شك بهويته وملابسه النظيفه ..تاكد بانه ماجد .. بعد خمسة دقائق طلب من الشرطي ان يذهب

الى الكراسي الخلفيه ويطلب من ماجد هويته ..اعتذر ماجد وقال له بانه عروبي ولم يعتاد حمل هويته ..فاصر الشرطي على طلبه .. فقال له ماجد لدي بعض الاوراق في جيبي ربما تحل المشكله .. سحب المسدس من جيبه وباغت الشرطي برصاصة في رقبته وسقط .. اوقف السائق السياره وهرب كل الركاب وسقط مسدس المعلم من شدة الخوف وتركه .. جاء ماجد وجلس على الكرسي خلف السائق عطا وعاتبه لماذا فعلت ذلك وانت تعرفني وتعرف اخي وقد سبق وان قدمت لك خدمه .. طلب من السائق يوصله باتجاه يساعده الاقتراب من منطقة اخوه حامد والح لكن السائق رفض بحجة انه لا يملك وقود كاف .. قال له اني سأضطر الى قتلك ان لم تفعل ما اقول لك .. ثم اطلق عليه رصاصه واحده في الراس اردته قتيلا" ..(هذا الحوار نقله الشرطي الذي تظاهر بانه مات)...

الركاب الهاربين فزعوا الى العشائر في القرى المجاورة فتجمع الرجال وهم يحملون اسلحتهم وارسلوا بعص الرجال ليبلغوا مركز شرطة الزبيدية ...اما ماجد سلك طريق وسط الحقول ليتخفى هناك حتى هبوط الظلام كي يكمل سيره للوصول الى اخيه حامد .. لكن القدر لم يسعفه..فقد اتبعت اثاره مجموعة من عشائر تلك القرى وبالاستعانة براعي غنم اكد لهم الاتجاه ... بعد عشرة كيلومترات قرر التخفي في احد انهر السقي اليابسة بانتظار الغروب لكن المجموعة التي تتابعه لحقت به فقرر المقاومه لأكثر من ساعة وبقي يدافع عن نفسه ولم يستسلم فأصيب بيده وحزمها بغترته واطلقت عليه مئات الرصاصات فاستشهد وفاضت روحه الطاهرة وانتقلت الى بارئها .. ..ويا للعجب لماذا هذا الجحود وقلة الوفاء ونكران الجميل من بعض ابناء الشعب العراقي لقادة ثورة ١٤ تموز الذين قدموا الغالي والنفيس لشعبهم ووطنهم..ولماذا فزعت رجال تلك العشائر ليقتلوا رجال خير من انجبت ارض العراق الذين حرروهم من ظلم وجور الاقطاع وجعلوهم يعيشون بالعزة والكرامة حينما اصدروا قانون الاصلاح الزراعي الذي وزع بموجبه الاراضي عليهم، والمؤسف والمحزن أنهم سحلوا جثمانه الى الطريق الرئيسي الترابي يرافق ذلك الحدث الأليم أهازيجهم وكانوا يمنون انفسهم بالجوائز

والمكرمات من الشباطيين الاراذل..
ونقل الجثمان الطاهر بسيارة الشرطة الى مخفر شرطة الزبيدية ولكن مع الاسف الشديد لحد الان لم يعثر له على قبر او شاهد سوى انه دفن في المكان الذي استشهد فيه وهذه الحالة المؤلمة شملت جميع الضباط الاحرار الذين شاركوا في الثورة وضحوا بانفسهم من اجل وطنهم واستقلاله وحريته.

ساعة الصفر

ومن الجدير نشر ما كتبه د. عقيل الناصري بعنوان (ساعة الصفر) هكذا اغتيل جلال الاوقاتي مثلما وردت في كتابه عن كتاب "عبد الكريم قاسم في يومه الاخير"
اجمع رواة وقائع اليوم الاخير من حياة الزعيم قاسم ومهندسو ومنفذو الانقلاب، ان ساعة الصفر بدأت بقيام العديد من لجان الانذار الحزبية باغتيال مجموعة من اقرب المساعدين للزعيم قاسم والمنتمين الى تيار اليسار وبالاخص جلال الاوقاتي قائد القوة الجوية وطه الشيخ احمد وفاضل عباس المهداوي وسعيد مطر ووصفي طاهر وعبد الكريم الجدة وماجد محمد امين وغيرهم .
إذ كلفت (على سبيل المثال زمرة بقيادة صلاح سالم مهمتها دار عبد الكريم الجدة، وزمرة اخرى مهمتها مهاجمة دار سعيد مطر في الفحامة (الصحيح في المأمون الناصري).
وقد تم لها ذلك، إذ كانت قد رصدت تحركاته ونظام عمله اليومي، منذ فترة طويلة نسبياً، ساعدهما في ذلك مدير الادارة في قيادة القوة الجوية صالح مهدي عماش وبعض الضباط البعثيين وانصارهم في مقر نفس القيادة، وكذلك التنظيم الحزبي المدني في كرادة مريم. ويعتبر الاوقاتي من اشد انصار النظام الجمهوري ومؤيدا للزعيم قاسم، ويتوجس الانقلابيون وخبراء الانقلابات العسكرية الامريكان من منصبه وامكانياته العسكرية في احباط محاولتهم الانقلابية في حالة نجاته من الاغتيال، خاصة ، كما مر معنا، ان هؤلاء الخبراء كانوا قد اعتمدوا الطيران كعنصر اساسي في

انقلابهم، ولهذا ليس اعتباطا ان تكون ساعة الصفر هي اغتيال الاوقاتي.
تمت عملية الاغتيال، كما يصفها رئيس الزمرة المنفذة المدعو غسان عبد القادر، في مقابلة اجريت معه في ١٩٨٥/١/٢٤، بالشكل التالي: (كلفت مجموعتي باعتقال جلال الاوقاتي، قائد القوة الجوية ومن قياديي الحزب الشيوعي، واذا مانع بذلك فيتم قتله، وفي ساعة الصفر قامت المجموعة المكلفة بذلك بعمل دورية حول داره الكائنة في كرادة مريم، وبعد خروجه من داره وفي احد الشوارع الفرعية القريبة من داره حوصر من قبل المجموعة، مما ادى به الأمر الى ترك سيارته والهرب، فقامت المجموعة المنفذة بفتح النار عليه وقتلته في الحال، وبهذا استطاع الحزب ان يتخلص من احد اقطاب السلطة المهمين والذي لو قدر له البقاء لكان له تأثير كبير في تغيير موازين القوى لصالح سلطة عبد الكريم قاسم) وبعد ذلك اتصلت المجموعة المنفذة بقيادتها واخبرتهم باتمام التنفيذ وكانت المجموعة تتألف منه ومن (ماهر الجعفري، عدنان داود القيسي، اكرم اسود، ومجيد رجب الحمداني). وكان دليل المجموعة حسب افادة عائلة الاوقاتي، محمد ثامر، اللاعب في المنتخب العراقي لكرة القدم وشقيق مدير الأمن اللاحق انور ثامر حسب استطلاعات الدكتور علي كريم سعيد. وقد تمت العملية بعد الثامنة والنصف وقبيل التاسعة صباحا. يصف حنا بطاطو عملية الاغتيال بالكيفية التالي: (كان الاوقاتي قد قاد سيارته يرافقه ابنه الصغير الى محل لبيع الحلويات قرب منزله، وما ان نزل من السيارة حتى توقفت مركبة آلية اخرج الركاب مسدساتهم واطلقوا النار عليه، واصيب الاوقاتي في كتفه وحاول ان يهرب ليختبئ، ولكنه اصيب ثانية في الرأس وسقط على الرصيف واسرع المهاجمون بالهرب واختفوا).
كانت عملية الاغتيال بمثابة اشارة الشروع للقوة الجوية في الحبانية ولقوى الانقلاب لكي تستولي على المرسلات في ابي غريب وتذيع البيان الأول، الذي كان بدوره إشارة البدء لتحرك كل المساهمين في العملية الانقلابية كل حسب المهام المناطة به والموقع المرسوم له.
ومنذ تلك اللحظة بدأ (مهرجان الدم العراقي) الذي خطط له في الاروقة

الغربية، ونفذته اياد عراقية، التي كانت (في تواطؤ واضح مع حكومة الكولونيل عبد الناصر المصرية وال سي آي أي CIA) وباركته اغلب الدول العربية وخاصة مصر الناصرية. وأمسى الدم يسال لمجرد الشبهة او الهوية، بل حتى القتل من اجل القتل. لقد تحول العنف المادي الى نهج وممارسة يومية ذات طابع فاشي لدى سلطة القوى الانقلابية، إذ (كان التعذيب يجري باكثر اشكاله بدائية وثأرية، وفي بعض الاحيان لم يكن بقصد انتزاع مزيد من المعلومات بقدر ما كان تكراراً ثأريا)، كما عبر عن ذلك أحد مهندسي ومنفذي الانقلاب.

وقد شملت هذه التصفيات الدموية، بعد ذلك وطالت حتى القوى التي سبق وان تحالفت مع قيادة الانقلاب ومن ثم اخذت تصفي الحسابات معها، مادياً او معنوياً.

ففي البدء انصب العداء على قوى الحركة الكردية التي تحالفت قيادتها معهم ثم اعقب ذلك مع بقية القوى القومية، غير البعثية، وخاصة حركة القوميين العرب، بعد اكتشاف حركتهم الانقلابية في ١٩٦٣/٥/٢٥ لينتهي مسلسل العنف بنتيجته المنطقية بصراع اجنحة البعث واخيرا على البعث ذاته، مما افقدهم السلطة. وبهذا الانقلاب ساهمت احزاب التيار القومي عامة، والبعث العراقي بخاصة، وحلفاؤهم الآخرون، بدرجة كبيرة في اضاعة اهم فرصة تاريخية لتطوير عراق القرن العشرين. وتعمقت بهذا الفقدان وازدادت وتأثر التعسف والاضطهاد وثقافة العنف والانقلابات التي هددت مكونات الاستقرار السياسي في العراق لعقود طويلة، وبخاصة بعد صعود، جناح ميشيل عفلق في حزب البعث ثانية للسلطة عام ١٩٦٨. بحيث طال الاضطهاد الاعم الاغلب لمكونات المجتمع العراقي. وهذا ما يمكن استقراؤهم من خلال تتبع جملة الكوارث التي حلت بالبلد نتيجة حروبه الداخلية والخارجية. ويرصد ايضا مما حل بالقيادات التي تعاقبت على ادارة دفة القيادة، سواءً الحزبية ام الرسمية، المدنية او العسكرية، حتى تحول الحزب من مرحلة التشارك الحزبي العام، الى مرحلة نمو السيطرة القرابية، ومن ثم الى مرحلة نمو السيطرة العائلية (عائلة الرئيس مباشرة). بحيث اصبح من حقنا القول بعد الاستقراء التاريخي، ان عائلة

الرئيس تحكم بواسطة حزب البعث، اكثر من كون حزب البعث يحكم بواسطة عائلة الرئيس. كان اختيار يوم الجمعة الثامن من شباط، من قبل العقول المخططة الاجنبية، ضرورة للانقلاب اقتضتها معرفتهم السابقة بالاحالة الى التقاعد للعشرات من الضباط الموالين لهم، ومما زادها اهمية هو اعتقال بعض القيادات العسكرية والحزبية العليا. يضاف الى ذلك لكونه يوم العطلة الاسبوعية التي يكون فيها كثير من المدافعين، وبخاصة من المراتب والجنود، خارج الخدمة الفعلية، والذين اغلبهم ينتمون معنويا وروحياً الى التيار المؤيد للزعيم قاسم. كما اعتاد كثير من العسكريين السهر في الليالي الرمضانية ليوم الجمع حيث يكون النهوض فيها متأخرا. وعليه ينخفض قوام القوة العسكرية في كل الوحدات. فمثلا في وزارة الدفاع ينخفض عدد العسكريين الموجودين فيها ايام الجمع من ٣٠٠٠ عسكري الى ١٢٠٠ فقط، اي ان ٦٠ بالمئة منهم لا يوجدون في وحداتهم العسكرية. وهذا الاقتراح بالتحرك في يوم الجمعة وفي الصباح، تم من قبل عقول اجنبية استكشفت سبل نجاح الانقلاب من دراستها الدقيقة للمحاولات الانقلابية السابقة والتي رأت ان احد اسباب فشلها يعود لكونها كانت تتم ليلا، حيث الاجهزة الامنية تكون اكثر يقظة من جهة. ومن جهة ثانية راوا صعوبة التحرك الليلي للضباط المتقاعدين والقوى العسكرية المؤيدة وتجمعها لتنفيذ المهمات المناطة بها في الاستيلاء على محطة الاذاعة والوحدات العسكرية التي سينطلق الانقلاب منها. اذ كانت تقتضي خطة الانقلاب تجمع مجموعة من العسكريين، بعضهم كان متقاعدا، ومن وحدات مختلفة في مركز كتيبة الدبابات الرابعة. هذا الفعل سيثير اهتمام القوى الامنية وكذلك المناهضة للانقلاب وخاصة بالنسبة للضباط من الرتب العليا. ومن جهة ثالثة عدم قدرة لجان الانذار الحزبية في نقل وتوزيع الاسلحة على افرادها وتنفيذ مهمات الاغتيال والاعتقال للعناصر المناهضة لهم والسيطرة على معابر الجسور وتقاطع الطرق المهمة. واخيرا من المعروف والشائع ان الزعيم قاسم كان يعمل الى ساعات متأخرة من الليل، ومن ثم يقوم بجولة معتادة في انحاء العاصمة وكان يهجع الى النوم في ساعات الصباح الاولى. وعلى ضوء ذلك،

والحث المتزايد لخبراء الانقلابات، تم في السابع من شباط اتخاذ القرار النهائي وحسم التردد في امكانية التأجيل لصالح المضي في الخطة الانقلابية، لأن عملية التاجيل ربما تؤدي الى كشف ابعاد المؤامرة من خلال الاعترافات المحتملة من العناصر القيادية المعتقلة، وبالتالي ستتساوى العاقبة في حالة الفشل. مما ادى بهم الى السير في عملية التنفيذ، خاصة ان هذه الفرصة ربما ستكون الوحيدة لديهم في الزمن المنظور آنذاك، بعد ان رسمت عملية تقليم مخالبهم العسكرية التي كان يفترض ان تتم في شهر شباط، مما يفسح المجال امام حركة القوميين العرب للقيام بانقلابهم المخطط له وهذا ما لا يريدونه لهم كحزب ولا القوى الخارجية المساندة لهم.

كما يجب ان لا ننسى روح المغامرة ودورها لدى بعض القيادات في الحث على الاسراع في التنفيذ. ومن المحتمل جدا ان وراء التنفيذ كان يقف عامل نفسي وقناعة ذاتية لدى الانقلابيين. مفاده : لنقم بالعمل، فان نجحنا فيه فهذا جميل، واذا فشلنا فان روحية الزعيم قاسم الكراهة للعنف، واحترامه الكبير للنفس البشرية، سوف لا يعاقبنا باعدام الحياة، بل سيسجننا لفترة زمنية معينة ومن ثم يعفو عنا بعدها، كما عفى مرارا عن كثير من المتورطين في المحاولات الانقلابية السابقة وممن حاولوا اغتياله، ومن ثم تكرر المحاولة مجدداً.

وعلى خلفية هذه الابعاد، صدرت في يوم ٧ شباط التعليمات الحزبية النهائية لتحرك الانقلاب والتي تتخلص في :

١. وجود المكلفين بالتنفيذ من مدنيين وعسكريين في الساعة السابعة صباحا في منطقتين هما : ساحة النسور في الكرخ بالقرب من جسر الخر (ساحة عبد الكريم قاسم سابقا)، حيث ملتقى طريق بغداد فلوجة وبغداد المحمودية، وفي ساحة عنتر في الاعظمية قرب النادي الاولمبي.

٢. يبدأ الاستيلاء على محطة الارسال في ابو غريب، ويقطع الاتصال بمحطة البث في الصالحية وبمحطة تقوية البث (محطة الموجات القصيرة) في سلمان باك. ويعتبر هذا العمل اخطر حلقة في الانقلاب باعتباره وسيلة التبليغ الرئيسية في ذلك الصباح وبمثابة بدء ساعة الصفر لكل القوى

الانقلابية بالتحرك العملي:
٣. يبدأ البث الاذاعي باذاعة البيان الاول، الذي هو إشارة للطيارين لبدء الحركة والهجوم بطائراتهم الحربية، القادمة من الحبانية، على وزارة الدفاع والقاعدة الجوية في معسكر الرشيد جنوب بغداد. ٤. يتحرك الضباط المؤيدون للانقلاب، والموالون من مختلف فصائل التيار القومي، للسيطرة على وحداتهم بعد سماع البيان الاول.
٥. يحضر الضباط المتقاعدون وبملابسهم العسكرية في منطقة ابو غريب ويكونون مهيئين للتحرك بعد الاستيلاء على وحدات الدروع ولتولي قيادة الدبابات والاستيلاء على الوحدات العسكرية القريبة.
٦. تبدأ الدبابات والمشاة بالتحرك من ابو غريب نحو اهدافها المرسومة. وقد اوصى خبراء الانقلابات العسكرية وهذا مستنبط من دراسة الامكانيات المتاحة الانقلابيين بضرورة لصق صور عبد الكريم قاسم على الاليات والدبابات اثناء توجهها الى اهدافها بغية خداع الجماهير المناهضة لهم.

حديث الجنابي

ولتحقيق الفائدة ارتأيت نقل حديث المرحوم المقدم قاسم الجنابي مرافق الزعيم عبد الكريم قاسم ليروي القصة الكاملة لانقلاب البعث الاسود في الثامن من شباط ١٩٦٣:
سبق إن نشرت صحيفة ١٤ تموز حوارا" اجراه رئيس التحرير المرحوم السيد عبد الكريم الصراف مع المرحوم قاسم الجنابي المرافق الوفي للزعيم الخالد عبد الكريم قاسم والذي بقي معه للساعة الاخيرة من حياته ودخل معه صالة الاعدام لكن علي صالح السعدي وعبد السلام سحبوه في آخر لحظة ويستذكر الجنابي في الحوار ذكرياته عن الساعات الاخيرة في حياة الزعيم الشهيد : خصّ المرحوم قاسم أمين الجنابي المرافق الوفي للزعيم عبد الكريم قاسم صحيفتنا بحديث ذكريات طويل نشرناه على مدى اربع حلقات وكانت آخر تلك الحلقات تفاصيل اليوم الاخير في حياة الزعيم ولأهمية الحديث الذي استأثر باهتمام شعبي واسع نعيد نشر هذه الحلقة لمناسبة ذكرى مؤامرة

٨ شباط الفاشية واستشهاد الزعيم عبد الكريم قاسم وصحبه الابرار.
هلا حدثتنا عن اليوم الاخير في حياة الزعيم سيما وانك قد لازمته في هذا اليوم الاسود وحتى لحظته الاخيرة؟
كانت ليلة الجمعة ١٤ رمضان وكان الزعيم قد اعتاد ان يتجول في احياء بغداد وخاصة المناطق الفقيرة كمدينة الثورة التي كان لأهلها موقف اثير في قلبه ولم يكن هناك اجتماعات ايام الخميس والجمعة. وفي تلك الليلة قام بزيارة السيد يحيى الجدة- شقيق الشهيد عبد الكريم الجدة- وكان كثيراً ما يزوره في بيته بالاعظمية ويشعر عنده بالارتياح وتناول طعام السحور في دار الجدة حيث كان صائماً وعندها طلب مني اخبار السيد مصطفى علي برغبته في لقائه فذهبت الى دار السيد مصطفى علي واخبرته بتلك الرغبة فقال لي سأذهب اليه في بيته- كان الزعيم يسكن داراً مستأجرة صغيرة في العلوية- وعندما اخبرت الزعيم بذلك استأذن مضيفه وودعه وغادرنا الى العلوية حيث ودعني الزعيم وذهب لداره اما انا فذهبت للمشتمل الملاصق لدار الزعيم والخاص بالحماية. وفي صباح الجمعة ٨ شباط اخبرني احد المراتب بوجود اناشيد في الاذاعة تدعو للتمرد فذهبت فوراً لدار الزعيم واذا به بكامل قيافته العسكرية- والغريب ان بعض الكتاب قد حرفوا بعض العبارات على لساني فمنهم من قال اني وجدته يفطر في حين انه كان صائماً ويبدو لي ان الزعيم لم ينم تلك الليلة، على اية حال فقد طلب مني الزعيم الاتصال هاتفياً باللواء التاسع عشر في معسكر الرشيد وتحدث الزعيم مع مقدم اللواء عزيز الصندوق وقال له هيئ لي سرية وانا قادم اليك ثم خرجنا من الدار بغية التوجه لمعسكر الرشيد وفي تلك الاثناء وصل الشهيد طه الشيخ احمد وقال للزعيم انا لا انصح بالتوجه الى معسكر الرشيد لوجود بعض الضباط المعادين واقترح ان نتوجه الى وزارة الدفاع حيث يمكننا الاتصال بالقطعات العسكرية بشكل افضل فاستحسن الزعيم هذا الرأي وانطلقنا الى وزارة الدفاع وعلى طول الطريق المؤدي من العلوية الى الوزارة كانت حشود الجماهير تقطع علينا الطريق تحمل صور الزعيم وتهتف بحياته وتطالب بالسلاح للدفاع عن مكتسبات الثورة وقائدها

وكانت اقوى تلك الحشود الكتل البشرية المتراصة التي تجمعت قرب ساحة الخلاني (موقع امانة بغداد حاليا) حيث اخترقنا ذلك الشارع بصعوبة بالغة وكانت الجماهير تهتف وتصرخ (ماكو زعيم الا كريم). وايضا كانوا يطالبون بالحاح بتزويدهم بالسلاح لمقاومة المتمردين حيث كانت جموع الفقراء وانصار الثورة والزعيم يهتفون (يا كريم انطينا سلاح بسم العامل والفلاح) الا ان الزعيم رفض ذلك رفضا قاطعا وقال (لا اريدها مذبحة من اجلي سنعالجها) وقد استمر مسيرنا حتى قاربنا وزارة الدفاع فكانت الحشود البشرية مستمرة بالتدفق وقد ألحوا ايضا بطلب السلاح فشكرهم الزعيم وحياهم ثم دخلنا وزارة الدفاع فصعد فورا الى مكتبه وكان يتصل بالوحدات العسكرية ويعدوه بالتحرك وانهم سينفذون الامر دون جدوى. قد قاتلنا منذ صباح الجمعة وحتى ظهر السبت ٩/ شباط قتالا مستميتا باسلا حتى نفذت المؤونة وانقطع الماء ونقص عدد المقاتلين وكنت أرى حالات فريدة من البطولة حيث رأيت بأم عيني ضباطنا القادة يقاتلون بأسلحتهم الشخصية مع جنودهم ومن المواقف التي لا زلت اتذكرها هو موقف الشهيد البطل عبد الكريم الجدة الذي كان كلما اصاب هدفاً للعدو الغادر كان يزغرد ويهتف للعراق العظيم وكأنه في حفلة فرح كان لا يأبه بالموت يقاتل جنباً الى جنب مع جنوده وهو قائد الانضباط العسكري لقد كان الجده من أوفى الاوفياء للزعيم الشهيد مثلما كان مفخرة للشهداء وكذلك كان وصفي طاهر الذي قاتل قتالا باسلا وكان من المقاتلين الاشداء الضابط سعيد مطر الذي ابلى بلاءً حسنا كما كان يقاتل ببطولة نادرة مع جماعة الشهيد الجده الشهيد كنعان خليل حداد. والذي أود ان أؤكده هنا ان الطائرة الاولى التي أغارت على وزارة الدفاع لم تكن عراقية وهذه الطائرة هي التي دمرت مدرج الطائرات وعرقلت حركة سرب جاهز للطيران. ومن المواقف الجديرة بالذكر اننا عندما كنا تحت وابل القصف الكثيف طلب عبد الكريم قاسم من مرافقه المرحوم حافظ علوان ان يجلب له (ملف شركة النفط الوطنية) لغرض توقيعه وفعلاً وقعه بهدوء ثم طلب من حافظ ان يعيد الملف الى مكانه قائلا (كل هذه الضجة من اجل هذا القانون) اي الجهات الاجنبية

التي ضُربت مصالحها بقانون النفط الوطني الشهير هي التي حركت اذنابها المتآمرين للقيام بهذه المؤامرة وقد اثبت التاريخ صحة ذلك واعترف علي صالح السعدي امين سر الحزب والذي اصبح نائبا لرئيس الوزراء ووزير للداخلية بعد انقلاب شباط ٩٦٣ اعترف بنفسه انهم قاموا بهذا الانقلاب واستلموا السلطة بقطار امريكي وهذا الاعتراف اعلن اكثر من مرة ومعروف للجميع.

ذكرت خلال حديثك ان الزعيم طلب حضور مصطفى علي قبل حدوث الانقلاب والمعروف انه وزير العدل السابق في عهده فماذا كان يريد منه الزعيم؟

مصطفى علي كان رئيسا للجنة القانونية التي كانت تعد الدستور الدائم حيث كان الزعيم ينوي اعلان مسودته في ٢٤ اذار ٩٦٣ يوم الحرية (ذكرى الخروج من حلف بغداد الاستعماري) والذي كان ينوي ايضا في هذا اليوم اصدار قانون حرية الاحزاب للتهيؤ لانتخابات ديمقراطية حرة تعتمد التعددية الحزبية الا ان استشهاده حال دون ذلك.

لقد قلت ايضا ان الجماهير طالبت بالسلاح ولكن الزعيم لم يلب ذلك فما هو السبب برأيك؟

أولاً ان الزعيم كان شديد الحرص على عدم اراقة الدماء، حريصا على الدم العراقي الطهور وحتى دماء المتآمرين ثم انه اعتقد ايضا انه تمرد عسكري بسيط يمكن القضاء عليه ولا داعي لتسليح الشعب وما قد يسببه ذلك من ايذاء للابرياء علماً بأنه كانت لدينا مخازن للاسلحة كافية لتسليح الجماهير الغاضبة المحتشدة.

هلا اكملت لنا تفاصيل ذلك اليوم الاسود؟

سجل الزعيم خطاباً بصوته وارسله بيد المرحوم حافظ علوان لايصاله الى الاذاعة ولكن القي القبض عليه في باب وزارة الدفاع ثم سجل خطابا اخر ارسله بيد سعيد الدوري ولم يتمكن من ايصاله كي يذاع وعندما حل مساء ٨ شباط تمكنت بعض القطعات المتمردة من الاستيلاء على بعض ابنية وزارة الدفاع وحاولت مهاجمة بناية الانضباط العسكري الا انها ردت على اعقابها

بفعل المقاومة المستميتة كما لم تتمكن الدبابات التي وصلت الى مدخل وزارة الدفاع من اقتحامها علماً بأن بعض الدبابات استخدمت صور الزعيم لغرض تسهيل مرورها في الشوارع وتحاشيا لمهاجمتها من قبل الجماهير وهكذا استمرت مقاومتنا حتى صباح السبت ٩ شباط وكانت ساعات قاسية لم ننم ولم نأكل خلالها شيئا وكان شهر الصوم والزعيم واخوانه صيام وكما ذكرت حتى الماء قطع عن وزارة الدفاع. اعقابها بفعل المقاومة المستميتة كما لم تتمكن الدبابات التي وصلت الى مدخل وزارة الدفاع من اقتحامها علماً بأن بعض الدبابات استخدمت صور الزعيم لغرض تسهيل مرورها في الشوارع وتحاشيا لمهاجمتها من قبل الجماهير وهكذا استمرت مقاومتنا حتى صباح السبت ٩ شباط وكانت ساعات قاسية لم ننم ولم نأكل خلالها شيئا وكان شهر الصوم والزعيم واخوانه صيام وكما ذكرت حتى الماء قطع عن وزارة الدفاع. علماً بأن السيد يونس الطائي صاحب جريدة الثورة وصديق الزعيم قد تمكن من دخول وزارة الدفاع واقترح ان يكون وسيطا بيننا وبين المتآمرين وكان ذلك قبل ان ننتقل الى بناية قاعة الشعب فخرج الطائي لمفاوضة عبد السلام عارف وبقية ضباط الحركة في مقرهم في اذاعة بغداد بالصالحية فتوقف القتال بعض الشيء وعاد يونس الطائي حاملا قرارهم بوقف القتال والسماح للزعيم وجماعته بمغادرة العراق. وقبل ان ننتقل الى قاعة الشعب سمح الزعيم للمرحوم احمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش بمغادرة الدفاع وقال له (خلّص نفسك) فاتجه العبدي الى حافة نهر دجلة فوقع في قبضة القوات المتآمرة واقترح بعض الضباط ان يخرج الزعيم معهم باتجاه المستشفى الجمهوري الا انه رفض ذلك. في الوقت الذي سمح للضابط سعيد مطر ان ينجو بنفسه. بعد فشل المفاوضات التي اجراها يونس الطائي وتوقيفه من قبل علي صالح السعدي حلق الزعيم ذقنه وغيّر ملابسه واتصل هاتفيا بعبد السلام عارف عارضا التوصل الى حل يمنع نزف المزيد من الدماء حيث اصبح الموقف متردیا جداً وبقي في حينه من الضباط مع الزعيم طه الشيخ احمد والمهداوي وكنعان خليل حداد وأنا حيث ان عبد الكريم الجده ووصفي طاهر قد استشهد خلال القتال واخذ الضباط

الذين بقوا مع الزعيم مواضعهم على شرفات قاعة الشعب ووجهنا اسلحتنا الى وسط القاعة متأهبين لفتح النار وعندما حلت الساعة الثانية عشرة والنصف دخل الذين يطوقون وزارة الدفاع الى قاعة الشعب وعندما اردنا فتح النار عليهم منعنا الزعيم من ذلك وقال (لا ترموا.. لا اريد مجزرة.. انهم ابنائي) وكان خارج وزارة الدفاع من الضباط العقيد محمد مجيد والمقدم هادي خماس (كان مسؤولاً عن حماية الاذاعة في عهد الزعيم) فصعد الزعيم وطه الشيخ احمد في دبابة وصعدنا أنا والمهداوي وكنعان خليل حداد في مدرعة واتجهوا بنا نحو مقر قيادة الانقلابيين في دار الاذاعة في الصالحية وهناك وعندما وصلنا ساد الحاضرين من الضباط والجنود وجوم وخيَم على الجو صمت الاموات فكنت اذا رميت ابرة على الارض تسمع صوتها فنزل الزعيم من الدبابة وكان في مقدمة الحاضرين من ضباط التمرد عبد الستار عبد اللطيف واقتادونا الى داخل البناية وكان هناك عبد السلام عارف والبكر وعلي صالح السعدي وغيرهم فوقفنا في وسطهم الزعيم وأنا وطه الشيخ احمد والمهداوي وكنعان فانبرى علي صالح السعدي مخاطباً المهداوي قائلا (لك اشسويت) اي ماذا فعلت فقال له المهداوي بكل شجاعة وجرأة (لك انجب أنا اتكلم مع عبد السلام) فغضب السعدي ورد عليه قائلا (انتظر سوف اقتلك) بعد تلك المشادة اخذ الزعيم يتحدث بثقة وبصوت جهوري قائلا ((انني خدمت الشعب ونفذنا ثورة انقذته من الاستعمار وهيأنا له العيش الكريم وجئنا بهذا السلاح لكي يشهر بوجه اعداء العراق واليوم انتم تستخدمونه ضدي)) اما احمد حسن البكر فقد التفت إلي قائلا (اشجلبت بهذا الشخص) اي لماذا تمسكت بالزعيم فاجبته ((أنا لم اعمل سوى خدمة بلادي)) فغضب من جوابي وقال ((اذن اصطف مع جماعتك حتى نرميك معهم)) ثم توجه عبد السلام لمناقشة الزعيم محاولاً ان ينتزع منه اعترافا في ذلك الظرف الحرج في انه هو الذي كتب البيان الاول لثورة ١٤ تموز فأجابه الزعيم (نحن كتبناه) فانزعج عبد السلام من اجابته وراح يعاتبه لاهماله وحبسه وفي هذه الاثناء قام علي صالح السعدي وعبد السلام بسحبي من صالة الاعدام وادخلاني غرفة السيطرة وجاءني

حازم جواد وابلغني باعفائي ثم جاءني السعدي وعبد الستار عبد اللطيف وجلبا لي فطورا وسألني عبد الستار عبد اللطيف مستفسراً عن الشخص الذي اخبر عبد الكريم عن الحركة من انكلترا التي زرتها للاشتراك في دورة الاركان وهل هو الملحق العسكري عبد القادر فايق فقلت له ليس لدي علم بذلك والحقيقة هي ان الملحق العسكري بعث بتقرير خاص للزعيم من انكلترا يخبره بتفاصيل الحركة واسماء الضباط المشتركين فيها ثم جاءني حردان التكريتي وقال لي ((ابو سمير من الممكن ان تذهب الى بيتك ولكني اخاف عليك فالافضل ان تذهب الى سجن سرية الخيالة لبضعة ايام)) ولكن حبسي استمر عدة اشهر. ولابد ان اشير ايضا انه عندما وصل الزعيم عبد الكريم قاسم الى دار الاذاعة كان بكامل قيافته جذابا انيقا وقد حلق ذقنه في صباح ٩ شباط وقد وعدوه بأن يسمحوا له بمغادرة العراق ولكنهم نكثوا عهدهم وقرروا اعدامه وبدون اية محاكمة وبدون ان يكون له حق الدفاع الشرعي والقانوني ودون اية جريمة ورغم ذلك فانه لم يفقد رباطة جأشه وشجاعته وعندما ابلغوه بعصب عينيه لغرض تنفيذ حكم الاعدام رفض عصب عينيه وفضّل ان يلاقي الموت وجها لوجه وكان الزعيم صائما عند تنفيذ حكم الاعدام فيه وقبيل اطلاق النار عليه وقف وهتف باسم العراق وكذلك فعل اخوانه الشهداء طه الشيخ احمد والمهداوي وكنعان خليل حداد فقد رفضوا ايضا عصب اعينهم وهتفوا باسم الشعب العراقي. لقد كانوا جميعا ابطالا لم يتخاذل أي منهم فقد جابهوا جلاديهم بكل شجاعة ورجولة ولم يهابوا الموت ابدا واسترخصوا حياتهم الغالية من اجل العراق العظيم.

وماذا جرى بعد ذلك؟

كما ذكرت سابقا فقد تم ايداعي السجن ولكني سمعت ان الزعيم قد دفن قرب منطقة المعامل وعندما علم اهالي المنطقة وجميعهم من الفقراء الذين أحبهم الزعيم واحبوه وكان قد سبق وان هيأ لهم سبل العيش الكريم وعليه فقد قام هؤلاء بحمل جثته الى مكان اخر بغية انتهاز الفرصة الملائمة لبناء قبر لائق به وعندما علمت السلطة بذلك عاقبت وسجنت هؤلاء واحتارت

بمكان دفنه فأثقلوا جثته الطاهرة بالحديد وألقوها في نهر ديالى متوهمين بأنهم سيتمكنون من مسح ذكراه ولكن التاريخ لا ينسى الشرفاء وها هو عبد الكريم لا زال حياً في وجدان العراقيين وضمائرهم رغم كل التزييف... لقد حرموه من قبر يكتنف جسده وتناسوا انه كان ولا يزال وسيبقى في حدقات العيون وفي سويداء القلوب.

الحوار الأخير

وكنت قد كتبت موضوعاً بشأن الحوار الأخير بين الزعيم وجماعة شباط الأسود بإسمي (صباح علال زاير) ونشرته جريدتي الصباح والمدى وصحف اخرى وعشرات المواقع وذلك في العام ٢٠١١، جاء فيه:

لا يعرف الكثير من الملاكات الشبابية العاملة في شبكة الاعلام العراقي البناية التي نفذت فيها عصابة علي صالح السعدي الجريمة التي غيرت مسار الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتاريخي للعراق، حين قام مع احمد حسن البكر وعبد السلام عارف وبقية الاسماء المعروفة بتعطشها للدم باطلاق النار على قائد ثورة الرابع عشر من تموز الخالدة في شهر رمضان الكريم.

لا اريد اعادة سرد تفاصيل ما حدث منذ اطلاق اول رصاصة للانقلاب ولحين اخر رصاصة اخترقت جسد الزعيم اذ يوجد ما رواه شهود الزور او شهود الحقيقة الكثير الا اني اعود الى مقر بناية شبكة الاعلام العراقي التي تحتوي داخلها قناة العراقية والفرقان وبقية الاذاعات والدوائر التابعة لها فمعظم العاملين ان لم يكن جميعهم لم يعاصروا تلك الاحداث التي مضت نحو نصف قرن.

ولذلك كانوا يجهلون المكان بالضبط الي قتل فيه قاسم لاسيما ان هناك الكثير من البنايات داخل الشبكة وبما يتعدى الستين بناية موزعة على مساحة واسعة من الارض كما ان معالم ما كان يعرف بالاذاعة والتلفزيون قد تغيرت اذ شيدت ستوديوهات ومواقع جديدة وازيلت اخرى..

امضيت ثلاثة اعوام دون ان اجد ضالتي اذ بين فترة واخرى وحالما التقي

باعلامي قديم اسأله عن ستوديو الموسيقى الكبير الذي نفذت فيه الجريمة فيؤكد انه قريب من المكان الفلاني دون رسم حدود معينة لذلك الاستوديو الذي شيد في الخمسينيات من القرن الماضي.. وفي عام ٢٠٠٨ تفرغت تماما للبحث عن الموقع بعد ان كان الامر ياتي باسلوب متقطع..

مهندس التسجيل بيده مفاتيح اللغز

ذكرت العديد من المصادر بان مهندس الصوت جوزيف بصري الذي كان حاضرا في مبنى اذاعة بغداد انذاك قام بتسجيل الحوار الذي دار بين الزعيم عبدالكريم قاسم وجلاوزة شباط وعلى رأسهم عبد السلام عارف وعلي صالح السعدي الذي يشغل انذاك منصب امين سر قيادة حزب البعث وبقية الشلة المرافقة امثال احمد حسن البكر الذي لم يشاركهم الحوار وحازم جواد وحردان التكريتي..

حين تم ادخال الزعيم في ستوديو الموسيقى الذي ازدحم بابطال الخيانة ومعه الشهداء فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل وقاسم الجنابي الذي قام حردان التكريتي بسحبه من كرسي الاعدام في اللحظة الاخيرة لينجو من موت محقق، عندما استقر هؤلاء جميعا في الداخل لم يكن بوسع الذين يتخذون من الغرفة المقابلة لهم سماع ما يحدث لكنهم يرون المشهد باعينهم فقط ولكن المهندس جوزيف بصري فتح جهاز التسجيل المخصص في غرفته الخاص بتسجيل الاغاني وهي مزودة بجميع الاجهزة الهندسية لهذه الاغراض وبدأ شريط الكاسيت يوثق الحوار... الا ان جوزيف لم يقدم ذلك الشريط للانقلابيين الذين انشغلوا بعد الحادث بتقسيم المناصب وتوزيع الغنائم ومن ثم الصراع على النفوذ والسلطة وهكذا احتفظ به في داره.

في العام ٢٠٠٩ توجهت الى اذاعة بغداد الحالية للبحث عن مهندس الصوت جوزيف بصري عسى ان اجد من يدلني عليه لسماع ذلك الحوار كثيرا ما اشار له فيما بعد عبد السلام عارف في خطاباته وكلماته الركيكة وكيف انه كان صاحب الحجة الاقوى فيه.. وبصعوبة بالغة علمت ان ذلك المهندس احيل

على التقاعد منذ سنوات طويلة ثم سافر مع عائلته الى الولايات المتحدة واستقر هناك وحمل معه اسرار الشريط الذي يعد احد اهم الوثائق التي تؤرخ شجاعة عبد الكريم قاسم ونذالة اعدائه وخصومه ومن اساء له وحاول تلويث سمعته.. وفي نفس العام ايضا التقيت الاذاعي طالب السعد الذي دخل الاذاعة مطلع السبعينيات وكان وقتها ضمن فرقة للاطفال وحين بلغ اصبح مذيعا متميزاً في اذاعة بغداد ولمعرفتي بحبه الشديد للزعيم طلبت منه ان يساعدني في العثور على مكان صالة الموسيقى الذي تم تسويته مع الارض بعد عام ٢٠٠٣ اثر اعمال النهب التي طالت معظم مؤسسات الدولة وعلى مسافة ٣٠٠م تقريبا توقف سعد على ارض تعلو اطرافها اكوام من الرمل والحصى وبدأ يسرد لي تفاصيل بناية مايسمى حينها بستوديو الموسيقى الكبير مازالت اسس البناية (البتلو) كما هي موقع لا تتعدى مساحته ٣٠٠م٢ او اكثر بقليل يقع بين الجانب الخلفي لمكتب المدير العام لشبكة الاعلام العراقي ومدخله يقابل بناية مجلة الشبكة العراقية من جهة اليسار بدأ السعد يؤشر لي باصبعه على اثار الممر الذي يؤدي الى الاستوديو هذه غرفة التسجيل وتلك غرفة السيطرة وهذا هو المدخل وهذه الصالة الكبيرة التي وقعت فيها جريمة قتل الزعيم يقول السعد الى وقت قريب قبل عام ٢٠٠٣ كانت البناية عامرة رغم ان الانقلابيين اغلقوا الاستوديو نهائيا منذ ذلك التاريخ ومع ذلك كنا نرى على جدرانه اثار الدماء التي تناثرت من الشهداء الاربعة كما التصقت في الجدار خصلة من شعر رأس الزعيم وثقوب واضحة ايضا داخل الجدران جراء الرصاص الذي اطلق عليهم من قبل ضباط الانقلاب العقيد عبد الغني الراوي والرائد منعم حميد والرائد عبد الحق اما الذي تولى اطلاق النار على قائد ثورة تموز فكان الملازم فارس نعمة المحياوي الذي مازال حيا يرزق بعد ان وصل الى رتبة فريق في الجيش العراقي في التسعينيات ويضيف السعد ان كراسي الخيزران التي اجلسوا عليها عبد الكريم ورفاقه ظلت في القاعة سنوات عدة قبل ان يتم تغليف القاعة بالخشب الصاج لاخفاء معالم الجريمة التي تذكرهم بافعالهم الخسيسة ونقل تلك الكراسي الى اماكن مجهولة

وقفت مع المذيع طالب السعد اتأمل الصالة مازالت اسسها كما هي تروي حكاية اشخاص وضباط كثيرا ما خانوا الامانة وتوجب عليهم القصاص لكن الزعيم عفا عنهم واعاد بعضهم الى الخدمة واحال البعض الاخر الى التقاعد باعوا انفسهم لغير العراقي.

قرأنا الفاتحة على قبر لاوجود له بل على روح ترفرف حول المكان وحملت قطعة من الكاشي الذي مازال على حاله منذ ذلك الحين واحتفظت بها عندي اذ ربما لايمكن الحصول على اثر كهذا بعد حين وانا موقن ان تحت كل قطعة من ذلك الكاشي بقايا دم وهتاف وطني وانين صائم لم يأبه الجلادون لصيامه وقيامه.

مصير شريط الكاسيت

نعود الى شريط الكاسيت الذي حمل اسراره المهندس جوزيف بصري وغادر العراق وفي ظل بحثي المتواصل عبر الانترنت وجدت ان المهندس قد توفاه الله وكان قبل وفاته قد سلم الشريط الى زوجته واخبرها بانه امانة حملها طيلة السنين الطويلة الماضية وبما انه وثيقة فقد قامت الزوجة باستنساخه وتسليمه الى اذاعة صوت العرب التي بثته عبر اثيرها وقامت بتنزيله عبر اليوتيوب وقبل اقل من عامين عثرت على هذا الجزء في اليوتيوب ومع ان الصوت لم يكن واضحا بسبب تداخل الاصوات وقدم التسجيل الا ان هناك جملا واضحة ومنها ان علي صالح السعدي الذي خسف الله به الارض فيما بعد يسأل الزعيم عن مؤامرة لجماعته تم كشفها قبل اسبوعين بواسطة تقرير رفعه احد الحاضرين وطلب ان يبين اسم ذلك الشخص الذي وشى بهم فيؤكد له الزعيم انه ليس من بينهم الان ويقسم له بشرفه لكن (الشريف) السعدي يرد عليه ومن اين لك الشرف لكن الزعيم يؤكد بان له شرفا يعتز به. ثم يتحدث الزعيم وبهدوء منقطع النظير عن ما فعله بشان الفقراء والمشاريع الكبيرة التي قدمها للعراق . لكن القاعة تضج بالصياح من قبل الانقلابيين بعد ان لم يجدو شيئا لادانته بعدها يطالب الزعيم بتشكيل محكمة عادلة لمحاكمته بعد ان سبق له ان حاكم العديد منهم بموجب محاكمة اتاحت لهم الدفاع عن انفسهم بكل حرية الا ان السعدي او

شخصا غيره يصيح باعلى صوته (واوي واوي يريد محاكمة يرد محاكمة) بهذه العقلية يخاطب القيادي البعثي زعيم امة اراد لها الارتقاء الى بقية دول العالم المتحضر وبعد هرج ومرج وتداخل الاصوات العالية وقبل انطلاق الرصاص بلحظات يتم سماع صرخة مدوية للزعيم وكأنه قائد في ساحة العرضات عاش الشعب الا ان حرف الباء لم يتح له الموت تكملته وكأنها بهذا يترك لشريف ماقد يأتي بعده لتكملة حروف الشعب وحاجاته وطموحاته وآماله ومن يتمعن بوجه الزعيم الخالد الذي تم تصويره بعد حادث القتل يجد ان شفتيه لم تنطبقا بعد ان لفظ كلمة (الشع) فقط غير الباء

ذلك الشعب الذي نذر نفسه من اجله طيلة حياته وحكمه فعاش ومات للعراق من غير مال وبنين وعقارات وارصدة وملذات ولانريد ان نقارن بينه وبين خصومه لانها مقارنة عقيمة وربما ساذجة لمن يريد ان يقارن الا ان من المفارقات المضحكة المبكية ان الانقلابيين البعثيين توجهوا الى سيدهم جمال عبد الناصر بعد ٩ شباط بايام ليقصوا عليه بطولاتهم المزعومة وخيانتهم العظمى لبلدهم وزعيمهم الذي امنوه على حياته وحلفوا بيمين الوعد وما اكثر الايمان والوعود التي نكثوا بها بعد ذلك طلب عبد الناصر اقامة حفلة لهم في تلك الليلة التي وصلوا فيها على امل ان يستقبلهم صباح اليوم التالي واخبر طاقمه الحكومي ان يستضيفهم الفنان فريد الاطرش في منزله وتتم دعوة عدد من الراقصات والفنانات والمطربات والمطربين لاحياء ليلة حمراء لـ(ابطال الثورة العظيمة) وبالفعل تم ذلك ولعبت الخمرة لعبتها في جماجم (قادة العراق) فراحوا يميلون حيث تميل الراقصات ويتقافزون رقصا لقرود فيما قام احدهم بحركة غير لائقة مع احدى الفنانات وامام الجميع مما دعا الى ان تقوم بركله برجلها ليسقط على ظهره وكأس الويسكي ينصب على شاربه ويلطخ ملابسه عندها توجه فريد الاطرش الى رئيس جهاز المخابرات المصري انذاك فيسأله (همه دول العيال الى حيقابلوا الريس بكره) نعم ياسيد فريد هؤلاء هم العيال الذين لعبوا بمصير العراق طيلة اربعين عاما واعادوا البلاد الى الخلف اربعين قرنا من الزمان وهو ما اكده علي السعدي نفسه في احد الايام حين كان يتناول

طعام العشاء في مطعم باجة الحاتي في شارع السعدون انذاك وكان ثملاً وراح (يخيط ويخربط) همس مرافقه في اذنه قائلا (استاذ على كيفك احجي احمي رجاء انت المسؤول الامر بالحزب) ما جعل السعدي يرفع صوته بشكل اعلى من السابق ويقول (لك ياحزب انت مصدك احنه حزب لك بابا احنه عصابة).

وفي المقابل هذا احد الاشخاص المتآمرين على الزعيم ننقل ما كتبه عنه هادي حسن عليوي..

طاهر يحيى كان مغرما بالسلطة، وعندما تسلمها بقي متشبثا بها حتى الثمالة، ولهذا كان التآمر صفة لصيقة به.. قضى حياته العسكرية تحت إمرة الزعيم عبد الكريم قاسم وعند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عيّن مديرا عاما للشرطة، ومن اليوم الأول للثورة بدأ التآمر على الزعيم عبد الكريم قاسم وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة للشواف في آذار ١٩٥٨ احيل على التقاعد، وبعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ أصبح عضوا في مجلس قيادتها وعضوا في المكتب العسكري للبعث لكنه ساهم في التآمر على رفاقه فساهم مع مجموعة من العسكريين في السيطرة على مؤتمر حزب البعث المنعقد في بغداد في ١٩٦٣/١١/١١ ونصب نفسه مسؤولا عليه بقوة السلاح، كما ساهم في تجهيز معتقل قصر النهاية بالعدة والسلاح لتعذيب المعتقلين، وأخيرا شرب من الكأس نفسها فعذبه البعثيون وأهين من قبل رفاق الأمس ليموت حسرة على السلطة.

نبذة عن حياته:

هو طاهر يحيى محمد عكيلي ولد العام ١٩١٣ في مدينة تكريت فلقب بالتكريتي وهو من عشيرة الدهامشة، أكمل دراسته الابتدائية فيها، وأكمل دراسته المتوسطة في بغداد فعين معلما، وكان قد افتتح الملك فيصل الأول صفا في الكلية العسكرية خاص بأبناء العشائر من غير خريجي الدراسة الثانوية، فلم يكن من مولود مخلص التكريتي المتنفذ آنذاك إلا أن يجمع عددا من أبناء تكريت من غير خريجي الثانوية والذهاب بهم الى الكلية العسكرية ليدخلوا صف أبناء العشائر الذي خصصه الملك فيصل الأول أساس لأبناء

الفرات الأوسط والعشائر الجنوبية ضمن موازنات معروفة، وهكذا أصبح طاهر يحيى واحمد حسن البكر ورشيد مصلح وآخرين من هذه البلدة ضباطا في الجيش العراقي، لكن تاريخهم العسكري يثبت أنهم لم يكونوا عسكريين مقاتلين وإنما عملوا في وحدات الإعاشة والتموين والإدارة.. تزوج طاهر يحيى من السيدة أمينة رشيد نعمان تسكن بغداد / الكرخ وتنحدر من تكريت، ورزق منها بأبناء وكان طاهر يحيى شديدا مع أولاده وحريصا على تربيتهم، فلم يذكر أي واحد عنهم بسوء، وأثناء ما كان رئيسا للوزراء حدثت مشادة مع ابنه زهير مع احد مدرسيه وحينما علم والده أمر بحبسه في البيت مما اضطر مدير المدرسة التوسط للإفراج عنه، وقال طاهر لمدير المدرسة: ((إذا لم أكن قادرا على تربية ولدي فكيف سأحكم البلد))، وعن صفاته أيضا القيادي البعثي ووزير الخارجية عام ١٩٦٣ طالب شبيب (ان طاهر يحيى لم يكن يستطيع كتابة سطر واحد) ويعتقد العديد انه كان شخصا عاديا ولم يتصف بصفات الذكاء والقيادية، ولم يتميز عمله في كل المناصب التي تبوّأها بل كان في بعض الأحيان دون المستوى المطلوب، فلم يستطيع ان يرتقي بمستوى مديرية الشرطة العامة. نشاطه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أحيل على التعاقد بعد حركة الشواف في ٨ آذار ١٩٥٩، وقد ساهم يحيى في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ باحتلال معسكر الرشيد حيث احتلت المعسكر ثلاث دبابات كان فيها يحيى والمقدم أنور عبد القادر الحديثي والمقدم رشيد مصلح التكريتي والملازم عدنان خير الله التكريتي وآخرون.. وبعد إعدام الزعيم عبد الكريم قاسم من قبل الانقلابين في مقر دار الإذاعة العراقية في الصالحية ظهر يوم ٩ شباط ١٩٦٣ قال طاهر يحيى ان الزعيم عبد الكريم قاسم اتصل هاتفيا به عرفة مطالب الانقلابيين لكن ردي له أننا غير مستعدين للتفاوض ويجب عليك ان تتسلم من دون قيد أو شرط وإننا نريد رأسك.. لكن يونس الطائي (رئيس تحرير جريدة الثورة) ومن أنصار الزعيم قاسم والذي حاول إجراء تفاوض مع الانقلابيين، والذي نقله من وزارة الدفاع الى معسكر الرشيد النقيب الركن احمد الحديثي، فيرى انه من المستحيل ان يجرؤ طاهر يحيى التحدث مع الزعيم قاسم هاتفيا او مباشرة،

لان يحيى قضى ودرس في الكلية العسكرية تحت إمرة الزعيم قاسم وقضى حياته المهنية كضابط وتلميذ ومريد له وعضو في منظمته للضباط الاحرار ولا يمتلك القدرة للتحدث مع قاسم بذلك الأسلوب، لكن يأتي مثل هذا الكلام في سياق الردح بعد إسدال الستارة وغياب عبد الكريم قاسم نهائيا.. وخلال حكم البعث الأول (شباط ١٩٦٣ – تشرين الثاني ١٩٦٣) عقد هذا الحزب مؤتمره القطري في ١١/١١/١٩٦٣، وفي بداية المؤتمر اندفع الى قاعة الاجتماعات عشرات الجنود والضباط المدججين بالسلاح يتقدمهم المقدم محمد حسين المهداوي وسيطروا على المؤتمر، وأشار المهداوي الى طاهر يحيى ان يصعد الى المنصة ويترأس المؤتمر فضجت القاعة بالاجتماع والصياح والشتائم، المهم فرض طاهر يحيى رئيسا للقيادة القطرية لكن ذلك لم يستمر سوى خمسة أيام. رئاسته للوزارة ساهم طاهر يحيى بدور أساسي في حركة عبد السلام محمد عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وأزاح البعث عن السلطة وكان لطاهر يحيى دور بارز في طرد الحرس القومي والبعث من السلطة فكافأه عبد السلام عارف بتكليفه تشكيل الوزارة، التي شكلها في ٢٠/١١/١٩٦٣، ويقول احمد الحبوبي في كتابه (أشخاص كما عرفتهم): "كان لابد ان يتولى طاهر يحيى رئاسة الوزارة بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ فهو الأقرب الى قلب وفكر عبد السلام محمد عارف فمسيرتهما العسكرية والسياسية تكاد تكون متشابهة، وقد نجح طاهر يحيى في ان يحوز ثقة عبد السلام محمد عارف، كما لم تكن عسكرية طاهر يحيى صارمة وكان يحاول ان يرضي الجميع، رئيس الجمهورية وحاشيته ووزراءه والضباط والأصدقاء لكنه لم يستطع، وأراد ان يحتفظ بمصب رئيس الوزراء لاطول فترة ممكنة لكنه اخفق في ذلك". قراراته الاشتراكية في الرابع عشر من تموز ١٩٦٤ قام بتأميم البنوك والمصارف التجارية العراقية، كما تم إصدار قانون المؤسسة الاقتصادية العراقية، والتي تضم المنشآت والمؤسسات العامة والشركات التابعة لها، وكان طاهر يحيى يرى في هذه القرارات بداية التحول الوحدوي الاشتراكي، لكن الحقيقة كانت هذه القرارات تؤسس لرأسمالية الدولة ولفساد مالي وإداري اخذ بالتوسع بشكل كبير في عهد يحيى فهذا

الذي يدعي الاشتراكية كان يشتري الكثير من اسهم الشركات العراقية الاهلية، فعلى سبيل المثال لا الحصر اشترى ٥٠٠ سهم في شركة العاب بغداد وسجل الاسهم باسماء أبنائه للتخلص من مصادرتها اذا ما تغيرت الاحوال ويقال ان ثروته بلغت ٣٠ مليون دولار امريكي جمعها من عمولات الصفقات البترولية، والتي جرى حجز امواله و ٢٥ شخصية سياسية وعسكرية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ . المشكلة الكردية عملت حكومة طاهر يحيى على حل المشكلة الكردية على اساس اللامركزية وبدأت مباحثات بين الطرفين وجرى وقف إطلاق النار وإطلاق سراح المعتقلين الأكراد وقدمت الحكومة مذكرة قدمها السيد صبحي عبد الحميد وزير الداخلية الى القيادة المركزية اثناء زيارته لكركوك في ٧/٢/١٩٦٥ تكونت من ١٢ بندا، وكان الملا مصطفى البارزاني قد بعث برسالة الى حكومة طاهر يحيى يقضي باضافة وزارة باسم وزارة الشؤون الكردية ترتبط بها الألوية الشمالية من كافة الوجوه ويناط بها الاشراف على القضايا الادارية والثقافية في المنطقة الكردية بدلا من وزارة إعمار الشمال.. رفض طاهر يحيى هذا الاقتراح وقال: (هذا يعني استقلال ذاتي مبطن.. لكن المسألة الكردية ظلت على حالها (لا حرب ولا سلم) حتى تشكيل وزارة طاهر يحيى الثالثة، وفي اليوم الثاني لتشكيلها انتقد ملا مصطفى البارزاني هذه الوزارة في تصريح نشرته جريدة التآخي في ١٢/٧/١٩٦٧ جاء فيه: (ان الوزارة لا تمثل الأكراد وانها وليدة ظروف غير ديمقراطية) كما طالب البارزاني بضرورة إحياء المؤسسات الاقتصادية خدمة للعراق والتعايش الكردي العربي، وأضاف البارزاني:- (انني اعتقد ان أزمة صفوف الشعب العراقي، وأزمة الحكمة ليست وليدة اليوم وانما هي في الحقيقة نتيجة عوامل متعددة يأتي انعدام الحكم الديمقراطي في البلاد وإطالة فترة الانتقال وانعزال الحكم عن الشعب وعدم قدرته على التعامل معه، لان تشكيل الحكومات المتعاقبة لم يكن طبيعيا او مستندا على قاعدة شعبية ولا انبثقت عن إرادة الشعب ورغبته عن طريق نظام حكم برلماني صحيح) .. ودافع البارزاني عن بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ الذي أعلنته حكومة عبد الرحمن البزاز وأكد التزام الحكومة به أكثر من سنة

وشهر غير ان ظهور تكتل للقوى العسكرية والمدنية ذوي التوجهات القومية والمستقلين يطالبون بضرورة إقامة حكومة ائتلافية تشارك بها القوى كافة لحل مشاكل الشعب العراقي، وقد وجه بعض الضباط المستقلين الى الرئيس عبد الرحمن عارف اثر توقيع اتفاقية ايراب الفرنسية بعد انتشار اللغط عليها إنذارا شديدا بضرورة اعفاء طاهر يحيى من منصبه كرئيس للوزراء ومحاكمة الوزراء اديب الجادر وعبد الستار علي الحسين وعبد الكريم فرحان وخير الدين حسيب وآخرين بلغ عددهم ٢٢ مسؤولا بتهمة الإثراء غير المشروع على حساب الشعب العراقي بالإضافة الى تشويه سمعة الحكم في العراق، فقد قبض هؤلاء، وفق رواية هؤلاء الضباط ستة ملايين دينار حوالي (١٨ مليون دولار أميركي) رشوات وعملات لقاء دفع الفريق طاهر يحيى على الموافقة على العقد شركة ايراب، فأجابهم عارف يستحق الموضوع التحقيق والعقاب، لكن عارف لم يقم بأي إجراء يذكر.. وبعد انقلاب تموز ١٩٦٨ واعتقال طاهر يحيى اعتقل عبد الواحد زكي المدير المفوض لشركة الكوكا كولا في بغداد وجرى تعذيبه حتى الموت بهدف الاعتراف بانه رشا طاهر يحيى من اجل تمشية معاملات شركة الكوكا كولا لكن الرجل لم يعترف.. ويقول عبد الكريم فرحان انه اثناء التحقيق معه خلال اعتقاله بعد الانقلاب بصفته عضو اللجنة العليا للتموين ان الحكومة ارجأت إغلاق معمل الكوكا كولا وموضوع رشوة طاهر يحيى دعاية مغرضة لا اساس لها.. وعن امتلاك يحيى أسهما كثيرة في الشركة.. قلت حتى الرئيس عبد السلام عارف يملك أسهما فلماذا طاهر يحيى، وأضاف عبد الكريم فرحان: ان بوسع أي شخص ان يشتري اسهم اية شركة مساهمة تعرض اسهمها في السوق.

لم تستطع حكومة طاهر يحيى الأولى، إيجاد حل مناسب للقضية الكردية فلم يجد طاهر يحيى سوى تقديم استقالة وزارته في ١٩٦٤/١١/١٤، فشكل وزارته الثانية مباشرة ويبدو ان حكم عبد السلام محمد عارف مر بعدة مراحل، وفي كل مرحلة كان يغير جلده، فلم يكن عارف يقبل بمشاركة أي كان في السلطة معه، فكان يعمل بكل الطرق للتخلص من أي شخص يحاول ان يشاركه في السلطة، وهكذا أصبح في عزلة خاصة من الأكراد والشيوعيين

والقوميين والناصريين والبعثيين الذين سرق الحكم منه، واشتدت الأزمة بينه وبين الناصريين، فقدم الوزراء الناصريون استقالتهم الجماعية من حكومة طاهر يحيى في ١٠ تموز ١٩٦٥ وهؤلاء الوزراء هم: المقدم صبحي عبد الحميد وزير الداخلية / العميد عبد الكريم فرحان وزير الارشاد / الدكتور اديب الجادر وزير الصناعة / الدكتور عزيز الحافظ وزير الاقتصاد / عبد الستار علي الحسين وزير العدل / فؤاد الركابي وزير الشؤون القروية ثم قدمت وزارته الثانية استقالتها الى الرئيس عبد السلام محمد عارف في ٣ أيلول ١٩٦٥ ليشكل عبد الرحمن البزاز وزارته وهو اول مدني يشكل الوزارة في العهد الجمهوري، ظلت حكومة البزاز في الحكم حتى انتكاسة الخامس من حزيران ١٩٦٧ اثر العدوان الاسرائيلي على الدولة العربية، ويبدو ان الرئيس عبد الرحمن عارف وجد ان الأوضاع الجديدة تتطلب حكومة يرأسها عسكري فكلف طاهر يحيى تشكيل حكومته الثالثة، ولم يشترك في هذه الحكومة ممثلين عن الحركة الكردية بل شارك فيها مصلح النقشبندي وهو لا ينتمي الى اية جماعة حزبية كردية، وقد صرح السيد مصطفى البارزاني في اليوم الثاني لتشكيل هذه الحكومة قائلا: (ان الوزارة لا تمثل الأكراد، وانها وليدة ظروف غير ديمقراطية) كما طالب البارزاني بضرورة إحياء المؤسسات الاقتصادية خدمة للعراق والتعايش الكردي العربي)، وأضاف البارزاني: (لقد علمتنا التجارب المريرة ان الحكم الذي لا ينبثق من صفوف الشعب، والذي لا يولد طبيعيا يبقى متخبطا في مسيرته بعيدا عن التخطيط والرقابة الشعبية، والحل الوحيد للخروج من الأزمات المستحكمة هو تأليف حكومة وطنية تضم مختلف فئات الشعب واتجاهاته..حاول طاهر يحيى الحوار مع القوى السياسية المعارضة من بعثيين وشيوعيين وقوى القومية الأخرى والأكراد لكن العقبة التي واجهت يحيى ان الجميع يرفضون الحوار والجلوس معه على طاولة النقاش فطاهر يحيى غدر بأقرب حلفائه وان همه الوحيد يبقى بالسلطة ولا يشاركه احد، كرئيسه عبد السلام عارف، بالمقابل ازدادت الدعوات لإقامة حكم ديمقراطي وأخرى الى حكومة ائتلافية وطنية يشارك فيها الجميع للعمل على اقامة حكم ديمقراطي، فيما

كان الانقلابيون يعملون في الخفاء وهكذا قام انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وسقطت حكومة طاهر يحيى وعاد البعث العدو اللدود لطاهر يحيى الى السلطة، وبالفعل ما ان تم الانقلاب في ١٧ تموز ١٩٦٨ طوقت ثلة من الجنود والمدرعات منزل طاهر يحيى في المنصور فاستسلم حرسه الخاص واعتقل طاهر يحيى ونقل الى وزارة الدفاع ثم الى سجن رقم واحد في معسكر الرشيد، ويتحدث الحبوبي عن اعتقال طاهر يحيى فيقول: اعتقل يحيى في معتقل الفضيلية في بغداد وضيق عليه في المعتقل وعومل معاملة سيئة وكان معه في المعتقل مجموعة كبيرة من السياسيين ومن اتجاهات مختلفة منهم (محمد صديق شنشل وعبد الكريم فرحان وخيرالله حسيب واديب الجادر ومالك دوهان الحسن وشامل السامرائي وآخرين) ، ويضيف الحبوبي في كتابه فضلا عن رحيم الكبيسي، الذي كان معتقلا مع طاهر يحيى قوله: (ان طاهر يحيى غضب غضبا شديدا عندما بلغه ان اسرته تتوسط له عند احمد حسن البكر فمنعها من الاتصال بالبكر في ذلك، كما ذكر الكبيسي ان يحيى ذكر له نبوءة عبد السلام عارف من انه سيأتي يوم يعتقلهم البكر، وذلك عندما ذهب يحيى وبعض الضباط للتوسط الى عبد السلام عارف من اجل إطلاق سراح احمد حسن البكر عندما اعتقل بعد فشل المحاولة الانقلابية الثانية للبعث في ١٩٦٤/٩/٥، ويقول طاهر يحيى وفعلا تحققت نبوءة عارف وها هو البكر يعتقلنا، ويضيف الحبوبي قائلا: (تم نقل يحيى الى معتقل قصر النهاية وهناك كانوا يعقدون جلسات للتسلية من قبل المحققين مع المعتقلين، ولم يسأم طاهر يحيى من جلسات الانس حيث كان يؤتى به ويربط حول وسطه حزام ليبدوا وكأنه راقصة ويطلبون منه الرقص ويقوم بالمهمة أمام المعتقلين الأخرين، اما البعثيون المسؤولون عن قصر النهاية فيضحكون!! وزيادة في الإذلال كلفوه بتنظيف المراحيض وقد تحمل كثيرا وصبر وقضى وقتا طويلا في قصر النهاية، فهل استفاد يحيى من هذه الدروس؟ وهل فكر فيما كان يقوم به او بإشرافه مع المعتقلين الشيوعيين والديمقراطيين والقاسميين بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ !!المهم ساءت صحته وزادت شكواه من عينيه حتى كاد يفقد بصره فأطلق سراحه واعتكف بداره لا يبرحها

وكانت مراقبات الأمن على بيته شديدة، وعندما تضطره الضرورة للخروج تتبعه سيارة الى حيث يذهب، وعندما طلب ان يعالج عينه خارج العراق منع من السفر فعلق على هذا المنع قائلا: (سبحان الله حتى العاهرات تسافر خارج العراق وانا ممنوع من السفر، وانطوى يكبت علاته حتى فارق الحياة يوم ١٩/٥/١٩٨٦ ودفن في مدينة تكريت.. ولم يبق من أثره سوى اللقب الذي نعته به المواطنون (أبو فرهود).

نبذة عن حياة الزعيم عبد الكريم قاسم كما يرويها احد محبيه:

لم يشهد تأريخ العراق الحديث منذ تأسيس الدولة عام ١٩٢١ قائدا تجسدت فيه الوطنية والإنسانية والنزاهة ونكران الذات مجتمعة مثل القائد عبد الكريم قاسم، وقد سجلت حقبة السنوات القليلة جدا من حكمه صفحات ناصعة في نظافة اليد وسمو النفس وتنزهها عن تغليب الأنا على المصلحة العامة، إذ شمر الزعيم قاسم عن ساعديه في غرة الأيام الأولى من ثورته لخدمة البلاد وإصلاح ماتراكم من خراب طيلة سنين الحكم الملكي، وقد وضع رعاية شعبه ولاسيما الطبقة الفقيرة قبل كل شيء، والتي كانت تمثل السواد الأعظم من سكان العراق، حيث شرع في تأمين حياة كريمة للعوائل التي كانت تفترش الأطيان والمستنقعات، من خلال توفير موطن يضمهم، وهي خطوة تنم عن إدراك عالٍ بمسؤولية الراعي عن رعيته أمام خالقه أولا، ومن ثم هي دليل على إحساس عميق بمعاناة المواطن كأبسط خلية في المجتمع، وهذا قطعاً نابع من أن الزعيم لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب، كما أن مراحل حياته لم تنل من الرفاهية والترف أكثر مما كان يناله العراقيون من سكان الصفيح وبيوت الطين، لذا فقد نشأ عبد الكريم قاسم كمواطن فقير وعاش حياة الفقر، ولشدة ماعاناه فقد أبى إلا أن يأخذ بيد العراقيين الى حيث تمكنه قدرته، ووضعهم في مأمن من الفقر والحرمان والفاقة، وتوفير الحياة الحرة والعيش الكريم، في بلد طال احتلاله تحت يافطة الانتداب من قبل بريطانيا، والتي تتناصف بدورها نهب ثرواته مع عائلة مالكة، مضيعة مصير البلاد وغامطة حقوق ملايين العباد.

هو عبد الكريم قاسم محمد البكر الزبيدي، ولد في ٢١ كانون الأول ١٩١٤، من عائلة فقيرة تسكن محلة المهدية وهو حي فقير يقع في الجانب الأيسر من مدينة بغداد. أبوه جاسم محمد البكر الزبيدي -جرى تغييره إلى قاسم- وأمه كيفية حسن اليعقوبي.. له شقيقان هما (حامد قاسم) شقيقه الأكبر ويعمل كاسباً في بيع الحبوب والأغنام، وشقيقه الاخر (لطيف قاسم) الذي

كان نائب ضابط في الجيش العراقي، وبقي بتلك الرتبة طيلة مدة حكم أخيه عبد الكريم قاسم، أما والده فكان يعمل نجارا، كما كان يردد عبد الكريم دائماً في خطبه، ويفخر بكونه ابن ذلك النجار الفقير.

انتقلت عائلته إلى بلدة الصويرة ،وهي بلدة صغيرة في جنوب العراق، وكان عمره ٦ سنوات، ولكن العائلة ما لبثت أن عادت إلى بغداد عام ١٩٢٦، حيث أكمل عبد الكريم دراسته الإعدادية، وتخرج منها عام ١٩٣١، واختار بعد تخرجه أن يعمل معلماً ،لمساعدة عائلته، وتعيّن بالفعل في إحدى قرى الشامية وهي بلدة صغيرة تقع في جنوب العراق، وقضى في التعليم سنة كاملة، غير أن مهنة التعليم لم ترضِ طموحه، فقد كان، وهو ابن العائلة الفقيرة، يتطلع إلى طموح بعيد المدى ،يحقق حلمه في إحداث تغييرٍ عميق في حياة الشعب العراقي وفي تحرير العراق من ربقة الاستعمار من جهة، وفي معالجة مشكلة الفقر من جهة أخرى، وفكر عبد الكريم قاسم في ترك مهنة التعليم، والتحول نحو الجيش الذي كان يرى فيه أمل الشعب في إجراء التغيير الحقيقي والجذري المنشود بعد أن عجزت انتفاضات الشعب المتتالية عن تحقيق هذا الهدف، ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٢، ليتخرج منها بتفوق في ١٥ نيسان من عام ١٩٣٤ ضابطاً برتبة ملازم ثانٍ في الجيش، وتدرج في رتبته العسكرية حتى وصل إلى رتبة رئيس (نقيب) حيث دخل كلية الأركان في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤١ وتخرج منها بتفوق عام ١٩٤٣.

في ٤ تشرين الأول ١٩٥٠ أُرسل عبد الكريم إلى لندن للمشاركة في دورة عسكرية للضباط الأركان أنهاها بتفوق، وعاد إلى العراق وتدرج في رتبته العسكرية حتى بلغ رتبة زعيم ركن (عميد ركن)، وكان آخر مركز شغله في المؤسسة العسكرية هو آمر اللواء التاسع عشر الذي كان له شرف قيادة ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨.

شارك عبد الكريم قاسم خلال خدمته العسكرية في حرب فلسطين آمراً لأحد الأفواج وأبدى بطولة نادرة في معركة (كفر قاسم)، غير أنه عاد من تلك الحرب ناقماً على السلطة الحاكمة في بغداد، التي خذلت الجيش، ومنعته من تنفيذ مهامه وتحقيق آمال الأمة العربية في الحفاظ على عروبة

فلسطين، فقد قُيدت حركة الجيش ومنع من القيام بمهامه بسبب التواطؤ المعروف بين بريطانيا والحاكمين بأمرهم في بغداد، فلم تكن حرب فلسطين سوى مسرحية نفذها الحكام العرب آنذاك بإخراج أنكلو أمريكي من أجل تحقيق وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، بالرغم من استبسال القادة والضباط والجنود العراقيين الذين شاركوا فيها.

تبلور الثورة في فكر الزعيم

ولدت تلك الحرب وسلوك الحكام العرب لدى عبد الكريم قاسم سخطاً مشروعاً على النظام العراقي وخيانته لمصالح الوطن ومصالح الأمة العربية ،وجعلت فكرة الثورة تختمر في تفكيره ،فكرس جهده لتنفيذ هذه الفكرة حتى تحقق له ذلك صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ كما أن الأحداث التي تلت حرب فلسطين في العراق، والتي كان على رأسها وثبة كانون في نفس ذلك العام، ووثبة تشرين عام ١٩٥٢، وعقد حلف بغداد، وانتفاضة عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثي على مصر، والتي قمعها الحاكمون بالحديد والنار، جعلت الشعب العراقي وقواه الوطنية، والعناصر الوطنية الثورية في الجيش وفي المقدمة منهم عبد الكريم قاسم يفقدون أي أمل في إصلاح أوضاع البلاد سلمياً، ووجدوا أن العمل الثوري هو السبيل الوحيد لإزاحة الفئة الحاكمة من الحكم، وأن السبيل لذلك لا يمكن أن يتم إلا بتدخل الجيش، وهكذا جاءت ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ التي قادها بنجاح عبد الكريم قاسم مدعوماً بكل فئات الشعب من قوميين وديمقراطيين وشيوعيين خرجوا جميعاً صبيحة ذلك اليوم لإسناد الثورة ودعمها مستعدين للتضحية والفداء من أجل نجاحها وديمومتها ومن أجل تحقيق آمال وطموحات الشعب العراقي في الحياة الحرة الكريمة .

باكورة إنجازات الثورة

استطاعت حكومة الثورة التي شكلها عبد الكريم قاسم أن تحقق الكثير من الإنجازات في عامها الأول ،كان في مقدمتها قانون الإصلاح الزراعي الذي كان بحد ذاته ثورة اجتماعية كبرى حيث حررت الفلاحين الذين يمثلون ٧٥٪ من الشعب العراقي من نير الإقطاعيين وخلقت علاقات إنتاجية جديدة وألغت قانون العشائر المتخلف حيث أصبح سكان الريف شأنهم شأن سكان المدن جميعاً خاضعين للقانون المدني ولأول مرة في تاريخ العراق نصّ دستوره المؤقت الذي أصدرته حكومة الثورة على أن العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن وفي ذلك خير تأكيد على حقوق الشعب الكردي القومية وقد تم استقبال الزعيم الكردي (مصطفى بارزاني) ورفاقه العائدين من الاتحاد السوفيتي استقبالاً رسمياً وشعبياً كبيراً وتمّ منح العائدين رواتب شهرية وجرى إسكانهم في بيوت بنيت لهم حديثاً وتمّ إسكان بارزاني في قصر نوري السعيد وجرى تأمين كافة احتياجاته بما يليق به كزعيم كبير للشعب الكردي، وجاء قانون الأحوال المدنية الجديد ليحرر المرأة ويجعلها على قدم المساواة مع الرجل .فكان بحق ثورة اجتماعية أخرى، وفي المجال السياسي أقدمت حكومة عبد الكريم قاسم على إخراج العراق من حلف بغداد وتحرير العملة العراقية من منطقة الاسترليني فكان ذلك نقلة نوعية كبرى في طريق التحرر من الهيمنة الإمبريالية وعودة العراق إلى الصف العربي وتقديمه لكافة المساعدات لحركة التحرر العربية وخاصة لفلسطين والجزائر واستطاعت حكومة عبد الكريم قاسم أن تقيم علاقات متوازنة مع جميع البلدان الأجنبية ومنها دول المعسكر الاشتراكي بعد أن كانت حكومة نوري السعيد قد قطعتها فيما مضى.

محاولات الانقلاب

أما في المجال الاقتصادي، فقد كان تشريع قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ أخطر ضربة وجهها عبد الكريم قاسم لشركات النفط ،حيث تمت بموجب القانون استعادة ٩٩،٩٪ من الأراضي الداخلة ضمن امتياز شركات النفط والحاوية على احتياطات نفطية هائلة وإصدار قانون شركة النفط الوطنية ،بغية استغلال مكامن النفط وطنياً . لقد كان المؤمل من الثورة أن يتجذر عمقها بالسير إلى الأمام من أجل تحقيق ما يصبو إليه شعبنا لكن الانشقاق الذي قاده عبد السلام عارف، الشخصية الثانية في قيادة الثورة والذي دعمته القوى التي تدعي القومية والبعثيين، ومحاولة تلك القوى فرض الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية بالقوة عن طريق اللجوء إلى التآمر المسلح أعاق تجذر الثورة وتطورها، فقد جرت ثلاث محاولات انقلابية والثورة ما تزال في عامها الأول وأدى سلوك عبد السلام عارف إلى شق وحدة الشعب ،وجبهة الاتحاد الوطني وتحول ذلك التعاون والتآلف بين القوى الوطنية إلى حالة من الاحتراب العنيف.

استطاع عبد الكريم قاسم، أن يتجاوز كل المؤامرات والمخاطر التي كانت محدقة بالثورة.

لقد كان على تلك القوى أن تناضل معا من أجل قيام مجلس تشريعي ينتخبه الشعب، بكل حرية، ومن أجل سن دستور دائم للبلاد، يصون حقوق الشعب وحرياته والرجوع إلى ممثلي الشعب في البرلمان عند تقرير مصائر البلاد ،واعتماد مبدأ الديمقراطية في الحياة السياسية. كان عبد الكريم قاسم، شأنه شأن أي إنسان آخر له إيجابياته وسلبياته معاً، فليس هناك من استطاع الطعن في وطنيته، وأمانته وحرصه على ثروات البلاد ومصالح الشعب ولم يستطع انقلابيو ٨ شباط ١٩٦٣ أن يجدوا أية تهمة تمس أمانته ووطنيته لكن عبد الكريم قاسم كانت له طيبة قلب وحسن نية، وهي التي أوقعته في المكيدة التي نصبها له الإمبرياليون وعملاؤهم وماتبعه من تأثيرات طالت فئات الشعب جميعها وأوصلتهم الى حيث خطط المغرضون من إزاحة الشخص العادل والنزيه من سدة الحكم.

كيد الإقطاعيين

بحكم صفاء نية عبد الكريم قاسم في تقييمه لطبيعة الصراع بين قوى الثورة وقوى الردة، ولاسيما بعد دحر الطبقة الحاكمة من كبار الملاكين والإقطاعيين الذين قضت الثورة على سلطانهم وخاصة بعد إصدار قانون الإصلاح الزراعي، أصبحت هذه القوى أكثر شراسة بعد إقصائها من الحكم وأكثر استعدادا للتعاون والتنسيق مع الإمبرياليين من أجل اغتيال الثورة وقيادتها، لقد تغلبت طيبة عبد الكريم قاسم في سياسة التسامح مع أعداء الثورة، وأخطأ في اعتماده على عناصر غير أمينة على مصالح الشعب والوطن. كما أن وسع صدره وعفويته ومخافة ربه قادته الى سياسة (عفا الله عما سلف) فقد بلغت سياسة عبد الكريم إلى حد إعفاء كل الذين تآمروا عليه. وحاولوا ونفذوا محاولة القتل ليدبروا انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وليقتل على أيديهم فيما بعد كما أنه أخطأ في تقديره لمكائد الإمبرياليين الذين استفزهم إصدار قانون رقم ٨٠ لسنة ٩٦١ ولم يتعظ من أحداث إيران على عهد (الدكتور مصدق)، والانقلاب الأمريكي الذي قاده (الجنرال زاهدي) عميل المخابرات الأمريكية بعد إقدام مصدق على تأميم النفط الإيراني حيث لم يتخذ الإجراءات الكفيلة لصيانة جبهة الاتحاد الوطني وزجها في المعركة ضد الإمبريالية فكان تحرك الإمبرياليين أسرع منه واستطاعوا إسقاط حكومته، وبالرغم من اتباع عبد الكريم قاسم اسلوب جازي الاساءة بالاحسان، وما تمخض عنه من أحداث أودت بحياته، فإنه يبقى شامخاً، كقائد وطني مخلص، معاد للاستعمار، نذر حياته في سبيل تحرير وطنه، من نير الإمبريالية وسعى إلى إسعاد شعبه والنهوض بالعراق في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية محققاً العديد من الإنجازات رغم قصر عمر الثورة ورغم الظروف التي أحاطت بها، ولو قدر أن تمتد الحياة بالشهيد عبد الكريم قاسم ، ولو لم تقع الأحزاب السياسية كافة بأخطائها تلك، وسبل تعاملها معه، لكنا شهدنا الشعب العراقي اليوم يعيش في أرقى المستويات التي تعيشها الشعوب المتقدمة في العالم أجمع.

مواقف لم يكررها مسؤول عراقي

- في حي الاعظمية اقترب صبي من سيارة الزعيم وبصق على زجاج السيارة، فما كان من المرافق الاقدم العقيد وصفي طاهر، الا وركض خلف الصبي واقتاده الى الزعيم، الا ان الزعيم سأل الصبي قائلا: ماذا يعمل والدك؟ فرد الصبي: عاطل عن العمل. هنا اخرج الزعيم ورقة نقدية من فئة العشرة دنانير واعطاها للصبي بعد ان ربت على رأسه وطلب منه ان ينطلق لوالده.

- ذات مرة كان الزعيم يمشي في زياراته الليلية الشتوية في المناطق الشعبية مع احد مرافقيه، وكان الزعيم يتدثر بمعطف عسكري وبدون رتب. وحين وصل كراج علاوي الحلة وقت الفجر قرر ان يتناول فطوره عند امرأة في الخمسين من عمرها ومعها ابنتاها تبيع القيمر والشاي. فجلس الزعيم قبالة المرأة وهي لاتعرف من هو، فسألها الزعيم، هل لك معيل يعيلكم انت وبناتك؟ فردت عليه زوجي معاق في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، ونحن نسكن في بيت من الطين في منطقة الوشاش، وانا الوحيدة مع هاتين البنتين نعمل في هذه المهنة منذ خمس سنوات. فرد عليها الزعيم وهل شكوت حالك للزعيم، وهنا ردت عليه بعصبية (انعل ابو الزعيم)! وقد تغيرت ملامح وجه الزعيم، ليقول لها (يمه انا صديق الزعيم وهاي ورقة مكتوبة له وان شاء الله الزعيم ماراح يقصر وياج). بعد يومين من اللقاء بهذه المرأة جاء الملازم اول كنعان خليل ليخبرها بأن هذه ورقة مكتوبة بخط الزعيم تقول: كل من تقع هذه الورقة بيده توصيل صاحبها لمقر تواجدي. وبعد ان اخبر المرافق الزعيم بذلك طلب احضارها فورا. وبعد دخولها لغرفته حيته بأجمل التحايا. وطلب من المراسل جلب نفر كباب من مطعم الاخلاص وكان سعر النفر الواحد ستين فلسا وبعد وصول الطعام ،جلس الزعيم امامها وهو يشرب كوب الشاي المخلوط بحليب.وبعد الانتهاء من الفطور، طلب حضور مدير الشعبة الرابعة في وزارة الدفاع وكذلك مدير عام التقاعد، ووجههما بتخصيص راتب تقاعدي لزوجها مقداره خمسون دينارا شهريا. و طلب من مدير الشعبة الرابعة بأن يخصص لعائلتها دارا من دور الطوبجي. وبعد

انصراف هذين المسؤولين، اخرج من جيبه كل مايملك ١٧ دينارا، فشكرته المرأة وارادت تقبيل يده فابى ذلك وقال لها: (هل عرفت صاحب الزعيم الذي كتب لك هذه الورقة؟) فردت عليه (لا والله بس هو طيب مثلك) فرد عليها بابتسامة (يمه انا صديق الزعيم) لتثور المرأة باكية (انت الزعيم وانا شتمتك)!!.

- في منتصف ليلة من الليالي زار مدينة الثورة ورأى رجلا مع ابنته يحفر بئراً، وكان الرجل داخل البئر، وقف الزعيم عند رأسه وسأله: ماذا تفعل في هذا الليل؟ فأخذ الرجل يتهجم على الزعيم، ولم يكن يعلم ان الزعيم هو الواقف فوق رأسه، وعندما علم ذلك ارتبك واخذ يعتذر، فقال له: يارجل لايهمك ولكن لا يجوز ان تسب الموتى..! وبعد ايام قليلة وصل الماء الى المنطقة.

- كان رجل يبيع الكبة في شارع الكفاح بعربته، وكان كلما مر الزعيم في شارع الكفاح يسلم عليه، وفي احد الايام لم يره وفي اليوم الثاني والثالث كذلك، ما دفع الزعيم ان يسأل عنه من صاحب المقهى فقال له انه مريض، فقرر الزعيم ان يزوره. وعندما وصل الخبر لبائع الكبة جاء الى العمل، وعندما شاهده الزعيم نزل من سيارته وسلم عليه وسأله عن احواله، وقال له: يارجل انت بعدك شباب، وتبرع له بمبلغ عشرة دنانير.

- في احد الايام ترك سيارته الخاصة وركب في مصلحة نقل الركاب، وكانت المصلحة انذاك درجتين الدرجة الاولى خمسة عشر فلساً والثانية عشرة فلوس، فجلس الزعيم بالدرجة الثانية ودفع عشرة فلوس، غير ان الجابي امتنع عن اخذ المبلغ فقال له الزعيم: خذ هذه اموال الشعب.

- طلبت منه اخته الحصول على دار فذهب بها الى خلف السدة (الميزرة) وقال لها انظري الى هؤلاء متى ما حصلوا على دار سيكون دورك بعدهم.

١٤ تموز ونزاهة عهد الزعيم

لقد أجبرت نزاهة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم باقي مسؤولي الدولة ان ينصاعوا لأمره بانتهاج النزاهة في مؤسساتهم، إذ سعى الزعيم أن لاتكون النزاهة مجرد تكثيف لناحية فردية تختص به شخصيا وحسب؛ وما يؤديه هذا التوجه الى حصره في زاوية أخلاقية مجردة و ضيقة، ذلك ان العهد الذي قاده منذ صبيحة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ برمته، قد نبع ثم اتسم بعدئذ بهذه الصفة المبدئية الرفيعة طيلة تلك الفترة القصيرة التي عاشها ذلك الحكم الوطني. فنزاهة الزعيم قاسم لم تتقوقع حول نفسها في دائرة الذات، بل انها شملت مجمل قرارات وخطوات النظام بأكمله. لقد شملت وانعكست بالتالي على كل جزئيات السلطات المعبرة عن إرادة الدولة (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وان مرد ذلك يرجع اساسا لأهم منبعين لتلك النزاهة وهما: (الصدق مع الذات والعدالة في التطبيق). ومن البدهي ان النزاهة لا تكمن في الجانب المادي الملموس وحسب، بل تطغى على مجمل العوامل المعنوية التي تحرك وقائع الماديات. فلو رجعنا الى ابرز انجازات ثورة ١٤ تموز، نجدها لا تبتعد كثيرا عن مفهومي الصدق والعدالة، فالقانون رقم ٨٠ الذي حدد المناطق النفطية وانتزع حقوق الشعب من الشركات الاجنبية الكبرى وقانون الاصلاح الزراعي الذي أنصف الفلاحين، وقانون الاحوال الشخصية الذي حقق للمرأة شيئا من أحلام المساوة، وإنشاء المصانع والمعامل على قدرالامكانيات المتاحة والذي فسح المجال واسعا امام الانتاج الوطني ودفع بالعمال للتفاني في سبيل ادامة وتطوير ذلك الانتاج الجاد المثمر، ناهيك عن انشاء مستشفيات الجمهورية في عموم المحافظات، وبناء المساكن لمختلف الطبقات وبخاصة الفقيرة منها عن طريق الجمعيات المتخصصة، ان هذه النزاهة بالذات قد فعلت فعلها الكبير من خلال ابرز اركان السلطة الذين بذلوا ما في وسعهم ليكونوا اقرب الى مفاهيم زعيم البلاد في هذا الجانب الاساسي من تصرفاته واخلاقياته، وذلك من خلال قيامهم بواجباتهم ومسؤولياتهم المناطة بهم بأمانة وشرف. فالذين عاصروا مجريات تلك الحقبة واحداثها وما احاط بها من تفاصيل، لم يسمعوا ابدا

عن فساد مالي او اداري قد دب بين صفوف تلك الصفوة الحاكمة على اختلاف انتماءاتها وطوائفها، كما لم يسمع أحد -حتى من قوى المعارضة- ما يشير الى فضائح مالية كبرى حدثت ايام تلك الثورة المجيدة.

اما القضاء العراقي فقد كان مثالا يحتذى به في العفة وطهارة الوجدان واليد، فلم يدر في الأوساط القانونية او الاجتماعية يومها ما يشيرالى عدم نزاهة احد القضاة او تلبسه بتهمة الرشوة، او استغلال المحسوبية او المنسوبية لاصدار قرارات لاتتفق مع القانون او تتجاوز حدود النص، وما قضية الحزب الاسلامي العراقي (كمثال على ذلك) ببعيدة عن صفحات تاريخ العراق المعاصر، ففي عام ١٩٦٠ تقدم عدد من رواده الراغبين بقيام الحزب الى وزارة الداخلية بطلب وقعت عليه الهيئة المؤسسة ترجو فيه الموافقة على إجازته، الا ان وزير الداخلية يومها رفض الطلب حسب صلاحياته، عندها رفعت الهيئة المؤسسة دعواها امام القضاء طالبة نقض ذلك القرار الاداري، فلما عرضت القضية على محكمة التمييز اجتمعت الهيئة العامة برئاسة رئيس محكمة التمييز واصدرت قرارها العادل بنقض قرار الرفض والزمت وزير الداخلية باجازة الحزب. لايمكن لاي انسان غيرسوي ان يلتزم بالنزاهة وامامه كل مغريات الحياة المادية والمعنوية، ولكن الانسان السوي المستقيم يمكنه الوقوف ضد كل تلك المغريات اذا اتسم بالصدق مع الذات المرتكز على الشجاعة ايضا، فالبعد عن كل تلك الدوافع المادية يقتضي من أي فرد التحلي بالشجاعة في رفض الدنيا مهما كانت بواعثها ودوافعها، وذلك النوع من الشجاعة يقتضيه اطار من الضبط والانضباط ايضا، والا تحولت بالتالي الى حماقة وانفعال آني وفوضى، والزعيم عبد الكريم قاسم عرف في كل ادواره العسكرية بأنه كان شجاعا ومنضبطا، ومن هنا جاء تعلقه بالنزاهة والامانة ومكافحة المغريات الحياتية بمختلف انواعها.

سر عدم زواجه

عادةماينحاز قادة البلدان ورؤساؤها الى استغلال مناصبهم ووجاهتها وتحقيق مآربهم المشروعة، أولها إنشاء كيان أسري بغية تكوين عائلة كباقي الناس، بل أن أغلبهم يطمع الى تحقيق رغباته والتي غالبا ماتكون غير مشروعة، فتمتد يده الى المال العام والخاص على حد سواء، يؤيده في هذا معيته المستفيدون بدورهم من تسيده وتسلطه وإمساكه زمام أمور البلد. إلا أن الحال هذه لم تكن تنطبق على زعيمنا عبد الكريم قاسم، فعلى الرغم من توافر كل مواصفات الرجولة والكياسة والشخصية المحترمة، والتي تعد من المؤهلات والمغريات التي تجذب النساء الى الاقتران بها، فضلا عن المركز المرموق في الدولة كرئيس وزراء ووزير دفاع وقائد عام للقوات المسلحة، لم يكن في بال الزعيم غير العراق والعراقيين ومصلحتهما فقط، وكانت أولويات اهتماماته كيفية النهوض بهما. وعلى هذا فقد وضع خصوصيات حياته ومصلحته الخاصة على الرفوف العليا، من دون إيلائها أي اهتمام ناكرا ذاته، مؤثرا مصير العراقيين على الأنا والأنانية. ومن جملة الخصوصيات التي لم يلتفت اليها الزعيم هي مسألة زواجه..!

وقد تحدث عن هذا الجانب د. هادي عليوي في إحدى مؤرخاته عن الزعيم قائلا:

كثر الحديث عن موقع المرأة في حياة الزعيم عبدالكريم قاسم، ودارت تساؤلات عن أسباب عدم زواجه، وبهذا الصدد يقول المقدم جاسم كاظم العزاوي مرافق الزعيم عبدالكريم قاسم بعد الثورة: لا توجد في حياة عبدالكريم قاسم جوانب اخلاقية سيئة بتاتا، وانه قبل الثورة كانت له صديقة واحدة، ولم يلتق بها بعد الثورة قط. ويروي صحفي كان جارا لعبد الكريم قاسم وعائلته قبل الثورة ان ام عبد الكريم قاسم كانت تقول حين تسالها النسوة عن عدم زواج عبد الكريم واسباب التأخر، فكان جوابها ان عبدالكريم لا يريد ان تحل واحدة مكاني.. الا انها قالت مرة، بعد ان تقدم بابنها العمر، انه سيتزوج بعد ان ينهي شغلة معينة ولم تكن رحمها الله

ان تعرف ما هي الشغلة!..يبدو ان عبدالكريم قاسم بعد ان انجز الشغلة (الثورة) عاد يفكر في الزواج حيث يقول محمد صديق شنشل (وزير الارشاد في حكومة الثورة): (ان زيارات عبدالكريم قاسم لمدارس البنات، كذلك زيارة المدارس له، في مقره بوزارة الدفاع، كانت بسبب الفتاة التي خطبها قبل الثورة ورفضته، وهي معلمة في احدى مدارس البنات، وعند زيارته للمدرسة التي توجد فيها المعلمة، رأى خاتم الزواج في يدها).. مما رواه ممن عاصره انه عندما كان معلما في قضاء الشامية، خلال العام الدراسي ١٩٣١ - ١٩٣٢ طلب الاقتران من فتاة من عائلة فاضلة كانت ايضا معلمة في مدرسة الشامية للبنات، لكن الفتاة كانت ترغب ان يكون فارس احلامها بوظيفة اعلى من معلم لذلك لم توافق على الزواج من المعلم عبدالكريم قاسم، والمعروف أن الكثير من الفتيات كن، في تلك الفترة يرغبن ان يكون فارس احلامهن ضابطا في الجيش. ومن الروايات أيضا يذكر الزعيم الركن خليل سعيد عبدالرحمن احد اصدقاء الزعيم.. وقائد فرقة عسكرية في عهده: (ان عبدالكريم قاسم خطب قبل دخوله كلية الاركان العسكرية (اي عام ١٩٣٩) فتاة من اهل بغداد، لكن عائلتها رفضت لأسباب ربما كانت عشائرية محضة، لكن بعد قبوله في كلية الاركان وما اعقبها من تسلمه مسؤوليات عسكرية صرفته عن التفكير بالزواج.

ويذكر الزعيم الركن خليل سعيد: ان الزعيم عبدالكريم قاسم عزف عن الزواج بعد الثورة، فعندما سألته مرة عن الموضوع أجابني قائلا: ان لي اربعة ملايين اخت عراقية، فكيف تريدني ان أتزوج؟!.. واذا كان الزعيم قد فشل في حياته الخاصة مع المرأة فانه قد نجح في حياته العامة معها فقد حقق انجازات تقدمية واضحة للمرأة في عهده ابرزها:

١.السماح للمرأة العراقية في تشكيل تنظيماتها النسوية العلنية فتشكل الاتحاد العام لنساء العراق، وافتتح مؤتمرهن كذلك افتتح المؤتمر العالمي للمرأة الذي عقد في بغداد.

٢. كما فسح المجال واسعا للمرأة للتعيين في الوظائف العامة المختلفة.

٣.عين (نزيهة الدليمي) وزيرة للبلديات في الذكرى الاولى لثورة ١٤ تموز

وهي ليست اول وزيرة في العراق فحسب بل في كل منطقة الشرق الاوسط قاطبة، وهي اول مشاركة للمرأة العراقية في ادارة الدولة العراقية.

٤.اصدر قانون الاحوال الشخصية عام ١٩٥٩، الذي ساوى فيه المرأة بالرجل قانونا في الحقوق والواجبات كما نظم هذا القانون بشكل عادل وتقدمي لاول مرة، الاحوال الشخصية من حيث الزواج والطلاق والنفقة والامومة والحضانة والرعاية وغيرذلك ولا يعترف هذا القانون بالزواج ما لم يكن زواجا مسجلا بشكل رسمي في المحاكم المدنية الرسمية، وبذلك اوقف حالات فوضى الزواج في العراق، ويعتبر اول قانون تقدمي يساير العصر، لا في العراق فحسب بل في المنطقة، وقد اصطفت ضد هذا القانون وبشكل هستيري الاقطاع والقوى المحافظة والرجعية لالغائه، لكنه ما زال ساري المفعول حتى يومنا هذا.

شاهد حي يتحدث عن إصابة الزعيم

في مساء يوم الأربعاء المصادف السابع من تشرين الأول ١٩٥٩ وعند الساعة الثامنة والنصف توقفت إذاعة بغداد عن بث برامجها المعتادة لتذيع خبراً هاماً من قبل الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدي يعلن فيه عن محاولة فاشلة استهدفت الزعيم عبد الكريم قاسم وطمأن فيه الشعب العراقي بأنه بصحة جيدة لا تدعو للقلق ودعاه الى الهدوء والسكينة ومنع التظاهر والتجمعات وأخيراً طلب من القوات المسلحة القيام بمهامها في تنفيذ القرارات وضبط الأمن. عن هذه الحادثة أرخ الإعلامي (فؤاد الطائي) وقائعها بلقائه المرضة التي أشرفت على علاج الزعيم فترة رقوده في مستشفى السلام فيقول:

كانت مصادرنا لتقفي الأخبار ومتابعة الحدث في ذلك الزمن محصورة على جهاز الراديو والقناة الرسمية للتفزيون بالنسبة لسكان بغداد وكذلك ما كانت تنشره الصحف المحلية التي كنا ننتظرها نحن الشباب بلهفة وحماس في ضحى كل يوم قرب المكتبات. كان يتكرر اسم مستشفى السلام الواقعة في شارع النضال قرب ساحة الأندلس كثيراً حيث يتعالج فيها الزعيم المصاب

بطلقات نارية في أطرافه حتى أصبحت هذه المستشفى بمرور الوقت وكأنها البديل المؤقت لوزارة الدفاع حيث يتولى الزعيم مهام عمله لما يتم من قرارات واجتماعات مع المسؤولين ومشاورات وزيارات وهو في سريره خاصة وأن إقامته هناك كانت قد امتدت لأكثر من شهر. صور الزعيم في الصحف تنشر تباعاً مع مستقبليه وهو يحيّي الجماهير من شرفة المستشفى، كذلك وهو يتوسط مرافقيه والعاملين في خدمته من الأطباء والممرضات المبتسمات للكاميرا بانبهار حتى كنا نحس على ملامحهن ذلك الفرح الخاص لرعايتهن لمريض غير عادي وشخصية هامة مثل عبد الكريم قاسم! وتشاء الصدفة بعد ٥٦ عاماً من ذلك الحدث أن التقي -والحديث للإعلامي فؤاد الطائي- بإحدى الممرضتين في منزلها وقد شارفت الثمانين من العمر لكنها مازالت تحتفظ بتلك الملامح المشرقة متحدية أمراض الشيخوخة التي أبطأت خطواتها بالاستعانة بعكازة لا تفارقها، تقول الممرضة لوريس كريم نصري، وهي من مواليد ١٩٣٥:

كنت حينها أعمل في مستشفى السلام، وقد انتهت ساعاتي في الخفارة وكان مساء الأربعاء السابع من تشرين الأول ١٩٥٩ وتوجهت عبر رواق الطابق العلوي للخروج وإذا بي أصبح وجهاً لوجه مع مجموعة مسرعة يتقدمهم الزعيم والدماء تظهر على بزته العسكرية، وفي نفس الوقت أغلقت كل منافذ المستشفى وأشير الي بالعودة والمرافقة للمشاركة في إسعاف الحالة. وعندما تم ذلك أمرني وزير الصحة آنذاك د .عبد اللطيف الشواف الذي حضر مسرعاً بالبقاء مع زميلتي رئيسة الممرضات (غزالة توفيق) وهي مسيحية أيضاً، البقاء حتى الصباح، ومنع أي ممرض أو ممرضة بالقيام بخدمته ودخول غرفته عدانا، واستمر هذا الحال حتى خروجه من المستشفى! وبسؤالها عن تفاصيل أكثر قالت لوريس:

كان قد حضر على وجه السرعة الى المستشفى الأطباء المعنيون إضافة كما ذكرت الى وزير الصحة والدكتور والأستاذ الجراح خالد القصاب والدكتور هادي السباك مدير المستشفى وكذلك مدير الأمور الطبية. فتشكلت لجنة من مجموعهم لفحصه وتقييم الحالة ، وحولوه مباشرة الى غرفة العمليات

بعد أن تولى مرافقوه فقط من العسكريين تغيير ملابسه بملابس المستشفى، وكان هؤلاء قد خصصت لهم غرف خاصة مجاورة لغرفة الزعيم طيلة تلك الفترة، وكنا أنا وزميلتي نقوم بخدمته وتقديم الدواء والطعام تحت مراقبتهم وتوجيهاتهم على مدار الساعة، إضافة الى عملهم في الحماية وإدارة الزيارات الخاصة. وتكمل لوريس:

كانت حالته تستوجب التخدير العام وهي الأكثر عملية بالنسبة للجراح والمريض معاً، وبعد نقله من غرفة العمليات بدأت مهمتنا أنا وغزالة، فكنا نتولى معاً أو بالتناوب تعديل الفرش والرعاية المطلوبة، وكانت خفارتي معه في النهار غالبا لأربع ساعات تقريبا وأذهب لأستريح في البيت، في حين تكمل زميلتي خفارتها الليلية له ولبقية المرضى الذين يشاركوه المكان ويتسلى في التحدث اليهم والمرور على أسرتهم يوميا، وأصر الا أن يكون واحدا من نزلاء المستشفى بكل صدق وتواضع.

قلت لها -الحديث لفؤاد الطائي-: عرف عن الزعيم تعوده تناول طعامه من يد شقيقاته محمولاً في (سفرطاس) في مقره بوزارة الدفاع، هل طلب الشيء نفسه خلال إقامته في المستشفى؟ فردت لوريس:

ذكرت لك بأنه يميل الى التعامل معه كمواطن وواحد من بقية المواطنين من المرضى، والتفرد بأكل خاص يسبب له إحراجا، ولم يحصل مرة أن طلب أو اشتهى أكلة معينة أو طلباً خاصاً يميزه عن الآخرين. وكان مجاملاً ولبقاً ومتحفظاً في كلامه، وأتذكر في البداية أنه سألنا أنا وزميلتي عن حالتنا الوظيفية وبابتسامة عن طائفتنا بالضبط ،وأعتقد أنه كان قد عرف قبل ذلك، وقد أحسسنا بمدى احترامه وحبه للطوائف غير المسلمة، وقد فوجئنا ذات يوم بحضور راهبات بملابسهن المعروفة لزيارته، وعرفنا أنهن جاراته في السكن ،وقد جلبن معهن تمثالاً للسيدة العذراء وعددا من الأيقونات، للبركة وهدية لسلامته، وقد سره ذلك وطلب من مرافقيه أن تنقل الى بيته. وتقول لوريس:

لقد شاهدت بنفسي حب الناس له وسمعت أصوات الدعاء والاعجاب، وتكرر مشهد نحر الذبائح أمام المستشفى، وذات مرة جلبوا جملاً ونحروه ليوزعوا

اللحوم الى الفقراء، وأتذكر أنه توجه الى الشرفة وهو ببيجامته وعليها الروب وبنعله فاقترحنا أن يلبس حذاءه عند خروجه الى الشرفة فأطاع دون تعليق. وعند زيارة شقيقاته له لم يكن يرغب ببقائهن طويلا خشية التأثير على باقي المرضى، او تجاوز قوانين المستشفى، وأتذكر أن إحدى شقيقاته في أول زيارة له كانت غاضبة ومنفعلة لما حصل وذكرت أمامه بأنها ستتولى قيادة تظاهرات وتحرك الشارع احتجاجاً على تلك الجريمة، فانفعل بدوره ورفض بشدة هذا التوجه، بل طلب من مرافقيه ومقربيه مراقبة شقيقته كي لا تتدخل وأن لا يسمح لها بالخروج من البيت! وبشأن مكافأة الزعيم لها قالت:

كان قد اكتفى بإعطائنا باجات فيها شعار الجمهورية، قدمها لنا بنفسه، ومن مرافقيه ساعات يد هدية تحمل صورته عليها. وبكلمة أخيرة قبل وداعها قالت لوريس:

كان الإعلام المعادي خارج الحدود قد أشاع بهدف الإساءة لحكم عبد الكريم قاسم ولشخص الزعيم بالذات، بأنه قد طلب ممرضات روسيات، وانهن قد استقدمن من موسكو لتولي رعايته، وبالطبع كنت أنا وزميلتي المقصودتين وكلانا من أبناء الوطن، وترتب على ذلك لاحقاً عندما حدث انقلاب شباط عام ١٩٦٣ واستشهاد الزعيم فقد استدعيت من قبل الحرس القومي وبحضور منذر الونداوي للتحقيق معي، وشاءت الصدفة أن أحد الجالسين جنبه كانت له معرفة شخصية بالدكتور كمال السامرائي الذي كنت اعمل معه فأنقذني حينها، لكن المراقبة والمضايقة استمرت رغم أني وزميلتي غزالة ليست لدينا أية علاقة بالسياسة، وكنا نؤدي واجبنا الإنساني ووفق متطلبات المهنة وحسب، بدليل أن شاء القدر فيما بعد أن يطلب مني حضور عملية جراحية لرئيس الجمهورية عبد السلام عارف، وقد تعللت لمدير المستشفى بأنني في إجازة لكنه أصر على حضوري على أن أتمتع بالاجازة بعد إجراء العملية، فأية مصادفة تلك، وشتان بين هذا وذاك.

جاسم العزاوي

يقول جاسم العزاوي سكرتير الزعيم الخالد عبدالكريم قاسم:
اقسم على ان الزعيم لم يستلم راتبه الشهري قط منذ تسلمه السلطة في ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى وفاته في ٩ شباط ١٩٦٣ بل كان يوقع على الراتب فقط وانا الذي كنت استلمه واضعه في خزانة عندي وكان راتبه ٤٤٠ دينار شهريا موزعة كما يلي ١٠٠ دينار الى بيت اخوه حامد بدل وجبة الغداء الذي يجلب له كل يوم الى وزارة الدفاع وهو عبارة عن سفرطاس من ٣ طبقات فيها تمن ومرق مع رغيفي خبز ونصف دجاجة مع اختلاف انواع المرقة لكل يوم وحسب المتوفر من الخضار وكان يدعو كل من حضر في السكرتاريا لمشاركته وجبة الغداء وكنت غالبا ما اتناول غدائي معه، و١٠٠ دينار الى اخته على ما اذكر و٤٠ دينار الى بهو الضباط بدل الفطور والعشاء وتبقى ٢٠٠ دينار في الخزانة كان يوزعها على الفقراء خلال جولاته اليومية في احياء بغداد الفقيرة واذكر انه دخل يوما الى الوزارة ومعه رجل كبير السن وامرني ان ادفع له ٥٠ دينارا ولم يبقى في الخزانة سوى ٥٠ دينار وكان يوم ١٠ بالشهر فدفعت المبلغ للرجل وانصرف بعدها قلت للزعيم سيدي اما كان من الممكن ان تدفع لهذا الرجل ٥ او ١٠ دنانير وهل تعلم انك الان لا تملك فلسا واحدا وباقي ٢٠ يوم حتى موعد الراتب القادم فقال لي بامتعاض (انتو ليش تحاولون تطلعوني غلط هذا رجل كبير وجدته بالقرب من وزارة الدفاع وعنده ستة اطفال وعائلة وهو لا يملك عمل فدفعت له الـ٥٠ دينار وطلبت منه ان يشتري قوري واستكانات وسماور ومنقلة وطلبت منه ان يبيع الشاي في المكان الذي وجدته فيه ووعدته انني ساشرب الشاي منه) واصبح جايجي الزعيم وصارت له شهرة واستطاع ان يعيل عائلته.... اما راتب المنصب فيجمع كل ستة اشهر ويوزع على ضباط الصف المتميزين في ١٤ تموز و٦ كانون هذا هو الزعيم وهذه مناقبه وهذا خلقه ومكارمه ...

وكتب عبدالخالق حسين في موقع الحوار المتمدن مقالة بعنوان ثورة ١٤ تموز وعبدالكريم قاسم:
ولد عبد الكريم قاسم في بغداد عام ١٩١٤ بمحلة المهدية في جانب الرصافة

من بغداد، من أبوين عربيين هما: قاسم محمد البكر الزبيدي وكيفية حسن يعقوب الساكني التي يرجع نسبها إلى عشيرة تميم العدنانية، وفي الخامسة من العمر دخل الكتّاب لتعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم في بغداد.

- سافرت العائلة عام ١٩٢١ إلى مدينة الصويرة، ودخل الصبي عبد الكريم المدرسة الابتدائية هناك ودرس فيها لمدة أربع سنوات، قبل أن تعود العائلة إلى بغداد ثانية عام ١٩٢٦.

- انهي دراسته الابتدائية من مدرسة الرصافة ويتخرج منها عام ١٩٢٦.

- دخل الثانوية المركزية-الفرع الأدبي عام ١٩٢٦ وينتهي منها بتفوق في عام ١٩٣١.

- بسبب ظروفه المعيشية، أختار التعليم مؤقتاً وتم تعينه في وزارة المعارف بتاريخ٢٢,١٠,١٩٣١ بوظيفة معلم ونسب إلى إحدى المدارس الابتدائية في قضاء الشامية.

- التحق بالكلية العسكرية في خريف ١٩٣٢ وتخرج منها برتبة ملازم ثان في ١٥,٠٤,١٩٣٤.

- في مايس ١٩٣٨ نقل إلى الكلية العسكرية ، وعين بمنصب آمر فصيل في سرية الدورة السابعة عشر، حيث يتعرف فيها على العديد من ضباط المستقبل، الذين التفوا حوله لاحقاً بقصد تغيير النظام.

- دخل كلية الأركان في ٢٤,٠١,١٩٤٠ وتخرج منها بتاريخ ١١,١٢,١٩٤١ وينال درجة (أ) وقدم لمدة سنتين .

- في عام ١٩٤٧ سافر إلى لندن، وهي المرة الأولى التي يسافر بها إلى خارج العراق، لغرض معالجة شق في شفته العليا.

- ساهم بكل جدارة في حرب فلسطين الأولى عامي ١٩٤٨-١٩٤٩ ، وكان برتبة مقدم ركن.

- رشحته رئاسة أركان الجيش في عام ١٩٥٠ إلى دورة تعبئة الضباط الأقدمين في إنكلترا للمدة من ٤/١٠/١٩٥٠ إلى ٢٢/١٢/١٩٥٠، وقد حصل على تقدير ممتاز، وكان في هذه الكلية تقليد أن يكون الاختبار عملي ولذا كان اختبار الدورة المائة والثلاثون يتمثل في سؤال واحد هو: أكتب خطة

مفصلة لاحتلال عاصمة بلادك؟ وحين وزعت ورقة الأسئلة، استجاب كل شباب الدورة من مختلف أصقاع الدنيا، إلا عبد الكريم قاسم الذي أمسك بورقة الأسئلة وقام صارخاً: لا لاحتلال بغداد.

- بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ويأسه من الوضع السياسي في العراق، ساهم الزعيم قاسم في تأسيس أول تنظيم من نوعه في العراق، حيث ضم الكثير من الضباط الساخطين على سير هذه الحرب وتواطؤ أنظمة الحكم العربية آنذاك وضم هذا التنظيم: المقدم الركن عبد الكريم قاسم؛ لمقدم الركن طارق سعيد فهمي ؛ النقيب رفعت الحاج سري، الرائد الركن عبد الوهاب الأمين، الرائد الركن داود الجنابي، الرائد طاهر يحيى، النقيب محسن الرفيعي، الملازم الأول خليل إبراهيم حسين وغيرهم من الضباط، وقد كان هذا التكتل، الأكثر سعةً، وتفهماً لواقع العراق وارتباطاته القومية من تلك الكتل التي تأسست في السابق وخاصة منذ أن خرج العسكر من ثكناتهم لأول مرة في الثلاثينيات، وأصدر بياناً ضد الحكام العرب ودورهم في هذه الحرب. وكان باسم (تكتل الضباط الوطنيين).

لكن هذا التنظيم وبالقيادة التي تشكل منه، سرعان ما انفرط عقده بعد رجوع الجيش العراقي، وتوزعهم بين الاعتكاف عن العمل التنظيمي، أو البحث عن مجاميع أخرى أكثر تقارباً فكرياً. في حين أستمر عبد الكريم قاسم في عمله التنظيمي وترأس مجموعة أخرى عُرفت فيما بعد، باسم (تنظيم المنصورية)، وهذا الاسم مستنبط من موقع اللواء التاسع عشر، الذي عمل فيه الزعيم قاسم، في معسكر منصورية الجبل في محافظة ديالى وضم هذا التنظيم عبدالسلام عارف وعبدالجبار عبدالكريم وطاهر يحيى وغيرهم. وقد تميز هذا التنظيم ببرنامجية متطورة عكست مطالب الحركة الوطنية المعارضة. وكان هناك تنظيم آخر نظمه المرحوم رفعت الحاج سري عام ١٩٥٢ والذي نال إعلاماً واسعاً خاصة في كتاب حنا بطاطو، وتم دمج هذين التنظيمين عام ١٩٥٦ بإسم تنظيم الضباط الأحرار وتشكيل اللجنة العليا له وأختير عبدالكريم قاسم رئيساً لها ولعب الدور الأساس في تفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

- عمل على إذكاء الروح الوطنية بين زملائه وأن يعمل بكتمان وحذر وإناءة لتحقيق أهدافه ، آخذا بنظر الاعتبار قوة شكيمة خصمه، وعمق هذا الشعور تأثره البالغ بالعقيد كامل شبيب، أحد العقداء الأربعة، عندما كان يعمل تحت إمرته، وازداد هذا الشعور عندما شاركه العمل وحارب معه أثناء حركة مايس التحررية عام ١٩٤١.

- قائد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع وكالة.

-حقق عشرات المكتسبات للثورة ومنها القضاء على النظام الملكي وتأسيس الجمهورية العراقية (راجع الفصل الرابع: مكتسبات ثورة ١٤ تموز).

- تعرض لمحاولة إغتيال من قبل حزب البعث يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٩ في شارع الرشيد وأصيب في كتفه إصابات بالغة وقُتِلَ سائقه، وألقي القبض على معظم المشتركين في المحاولة وحكمت المحكمة عليهم بالإعدام، ولكنه عفا عنهم جميعاً وفق مبدئه (عفا الله عما سلف) وبذلك ضرب مثلاً لا سابقة له في تاريخ العراق في روح التسامح.

ويذكر الضابط سالم عبد القادر العباسي الذي نقل عبدالكريم قاسم وطه الشيخ أحمد بدبابته من قاعة محكمة الشعب قرب وزارة الدفاع إلى محطة الإذاعة يوم ٩ شباط ١٩٦٣ حيث أجريت تصفيته مع رفاقه الآخرين، بعد أن أعطوه وعداً بالمحافظة على حياتهم، ليلقي مصيره على أيدي الإنقلابيين فيقول: «... اتجهنا في شارع الرشيد إلى الباب الشرقي حيث الجسر الجمهوري. وكانت الشوارع خالية من أي بشر.. وبعد لحظات قال لي عبدالكريم قاسم: «لماذا ثرتم عليَّ..؟ قلت له لأنك قسَمتَ البلد.. وماشيت الشيوعيين».

لقد نسي هذا الضابط وآلاف غيره ان انقسام الشعب في مراحل التغيير ونقاط الإنعطافات في حياة الشعوب مسألة حتمية لا مفر منها ولم يسلم منها أي شعب أو أي قائد أو مصلح أو ثائر يقود عمليات التغيير في الحركات والمنعطفات التاريخية الكبرى كعملية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. فالتحولات الإجتماعية الجارية من شأنها أن تثير الكثير من ردود الأفعال البالغة العنف أحيانا. إن موضوعة إنقسام الشعب في المنعطفات التاريخية تستحق مناقشة بشيء من

العناية.
يخبرنا التاريخ أن الإمام علي بن أبي طالب (ع) كان أكثر الخلفاء الذين اختلف حوله المسلمون وبسببه انشقوا إلى معسكرين متحاربين لأول مرة في تاريخ المسلمين... يقول الدكتور علي الوردي بهذا الخصوص ما يلي: «مشكلة (تفريق جماعة المسلمين) وهذه المشكلة هامة جداً. وهي في الواقع من أهم مشاكل المجتمع البشري بوجه عام. ويطلق عليها علماء الإجتماع اليوم مصطلح (المشكلة ذات حدين).
ففي كل مجتمع متحرك نجد زمرة من الناس تدعو إلى مبدأ جديد فتفلق المجتمع به وتمزق شمله. وهذه الزمرة المفرِّقة تعد في أول الأمر ضالة عاصية وتكال لها التهم من كل جانب... إنها تمزق الجماعة وتشق عصا الطاعة حقاً. ولكنها في نفس الوقت تبعث في المجتمع روح التجدد والتطور. ولولاها لجمد المجتمع ولبقي في خمود متراكم قد يؤدي به إلى الفناء يوماً ما.
إن مسألة شق الشعب مسألة حتمية ترافق مراحل الثورات والتحولات الإجتماعية الكبرى وهي ليست من صنع قادة الثورات، بل ملازمة لهذه التحولات، فهي صراع بين فئة ضد التحولات الإجتماعية وفئة التي تناضل من أجل التغيير والعدالة الإجتماعية، ففي المجتمعات الديمقراطية المتحركة، تحصل هذه التحولات بصورة سلمية وذلك عن طريق صناديق الإقتراع، أما في المجتمعات المتخلفة والأنظمة الديكتاتورية فتحصل على طريق العنف والكفاح المسلح.
وفي حالة ثورة ١٤ تموز، فإن أسباب شق الشعب عديدة ومعقدة ومتشابكة، من عوامل داخلية: تمييز ومظالم واضطهادات عنصرية ودينية وطائفية وطبقية متراكمة عبر قرون تنتظر الانفجار كالبركان، إضافة إلى العوامل الخارجية، العربية والإقليمية والدولية والشركات النفطية الإحتكارية التي كانت الثورة تهدد مصالحها. فرغم كون الظروف الموضوعية كانت ناضجة لتفجير الثورة، إلا إن القوى السياسية وقياداتها أصحاب المصلحة بالثورة، لم تكن ناضجة بمستوى المسئولية لحماية ثورتها من قوى الثورة المضادة التي كانت تتربص بهم جميعاً.

تهمة الجنون

أول من اخترع هذه التهمة هو الصحفي المصري المعروف محمد حسنين هيكل الذي أدعى أنه سأل صديق شنشل عن قادة الثورة فأجابه أن عبدالكريم قاسم نصف مجنون وعبداسلام عارف نصف عاقل.!! ومن معرفتنا بعلاقة شنشل بالزعيم قاسم نعرف أنه من المستحيل أن يصدر منه مثل هذا القول. وقد ظهر في الوثائق السرية البريطانية التي يسمح لها بالنشر بعد ثلاثين سنة من صدورها، عن مقابلة السفير البريطاني لشنشل في داره في بغداد بعد إستقالته من حكومة الثورة مع الوزراء القوميين الآخرين بالجملة، أنه حتى في تلك اللحظة، كان شنشل واضعاً صورة الزعيم قاسم على جهاز التلفزيون في غرفة الضيوف وأنه كان يكن إحتراماً كبيراً له. وهذا ينفي ما ادعاه هيكل المعروف عنه في فبركة القصص الصحفية ودوره في تضليل الرأي العام العربي.

وتناول خصوم قاسم هذه التهمة ونشروها في كتاباتهم مثل فيصل حسون وغيره وأطلقوا عليه إسم (أبو الجنية) أي مجنون!!. إن هذه التهمة وضعت أصحابها في تناقض. فمن المعروف أن خصوم قاسم من جهة يتهمونه بالجنون، ومن جهة أخرى يصرون على أنه اتبع سياسة شق الأحزاب السياسية وضرب هذا الحزب بذاك، فهم بذلك أرادوا أن يجمعوا الصيف والشتاء على سطح واحد كما يقولون. إذ كيف يمكن لمجنون أو نصف عاقل على حد تعبيرهيكل، أن يقنع السياسيين المحترفين للسياسة من قادة الأحزاب ويشقهم ويضرب بعضهم بالبعض ما لم يكن سياسياً محنكاً وداهية أين منها دهاء معاوية أو مكيافيلي!!. أليس هذا إهانة لذكاء قادة تلك الأحزاب؟ أما الحقيقة والواقع، وحسب خطابات الزعيم المدونة وتصريحاته ومقابلات الصحفيين والسياسيين له وتصريحات خصومه عنه فيما بعد، تؤكد أنه كان يتمتع بعقل متفتح و ناضج ورباطة جأش وشجاعة وثقافة تجعله من أثقف ممن حكم العراق من قبله ومن بعده. وفي معرض المقارنة بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف يقول إسماعيل العارف: «وكان متوقعاً أن ينفجر الخلاف بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف في كل لحظة بعد الثورة لتناقض شخصيتيهما وتعارض مزاجيهما في السلوك والرغبات. وقد جمع بينهما هدف واحد هو تحقيق

الثورة وإسقاط النظام الملكي. فعبدالكريم قاسم يختلف عن عبدالسلام في إتزانه وقيمه الخلقية وعمقه وكتمانه وحذره، أما عبدالسلام عارف فقد كان متسرعاً كثير الكلام متعجرفاً محدوداً ولكنه جسوراً مقداماً. وبالرغم من أن كليهما يتصفان بالشجاعة والإقدام إلا إن جرأة عبدالسلام تتميز بالتهور. أما عبدالكريم قاسم فكان ينفذ ما يريد بجرأة وتصميم بعد حساب دقيق للإحتمالات ولا يندفع وراء المغريات المادية وحب الظهور. ولم يكن ذلك حال عبدالسلام عارف.»

تهمة الشعوبية

هذه إحدى التهم التي وجهت لقاسم من قبل القوميين العروبيين، وكانت في مقدمة البيان الأول لإنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. والمقصود بالشعوبية العداء للأمة العربية طبعاً. ولكن في المفهوم العروبي العراقي يقصد به الخروج على الموروث التركي الطائفي ضد الشيعة العرب. والمعروف عن قاسم أنه نبذ الطائفية في عهده ولم يعمل بها وعامل العراقيين حسب إنتمائهم الوطني دون أي إعتبار للإنتماء العرقي أو الديني أو المذهبي الذي كان معمولاً به في العهود الغابرة. فاعتبرت هذه السياسة عملاً شعوبياً معادياً للأمة العربية!!.
فهل حقاً كان قاسم ضد الأمة العربية؟ إن تاريخه، سواءً قبل ثورة تموز، حيث خاض المعارك البطولية في حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٧-١٩٤٨، أو بعد الثورة وأخذه المواقف القومية في الصميم وفي مقدمتها كفاح الشعب الفلسطيني والجزائري ودعم حركة التحرر الوطني العربية التي جاء ذكرها في فصل سابق.

ومما يجدر ذكره عن دور قاسم في حرب فلسطين عام ١٩٤٧، أن نوري الدين محمود كان قائداً للقوات العراقية عندما وقع الجيش المصري في حصار الفالوجة فأحجم عن مساعدته مستخدماً شتى الذرائع، وكان عبد الكريم قاسم أحد أمراء الأفواج الذين أصروا على التدخل لفك الحصار عن الجيش المصري، وبعد رفض نور الدين محمود، رتَّبَ قاسم أمره وأعد فوجه سراً للتحرك ليلاً لمساعدة الجيش المصري خلافاً لأوامر قيادته العسكرية، لكنه فوجئ عشية التحرك بتحقق إتفاق بين القيادتين العربية والإسرائيلية لفك

الحصار. (راجع خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم.
ومن المؤسف أيضاً أن أعتبر القوميون الوحدويون عهد قاسم حكماً شعوبياً.
ففي مفاوضات الوحدة الثلاثية بين العراق وسوريا ومصر، كان المرحوم عبد الرحمن البزاز، وهو مفكر قومي بارز قد حمل هذا الإنطباع إلى الرئيس جمال عبد الناصر إذ يقول البزاز: «بعد الصراع المرير الذي مررنا به خلال السنوات الخمس -يقصد فترة حكومة ١٤ تموز- مع الشيوعية الشعوبية والإنتهازية والرجعية يتطلع العراق بكل قواه وبكل طاقاته إلى أن يسير جنباً إلى جنب مع أشقائه».
فمرحلة حكومة ثورة ١٤ تموز كانت مرحلة الشعوبية في رأي هؤلاء لأنها امتنعت عن التمييز بين المواطنين على أساس طائفي أو عرقي. والسؤال هو هل الذي حارب الصهاينة دفاعاً عن حق الشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٤٨ وهو الذي أسس جيش التحرير الفلسطيني عندما كان رئيساً لحكومة الثورة العراقية، وطالب بتأسيس الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية قبل إحتلالها من قبل الصهاينة، وساعد جميع الحركات التحررية في الوطن العربي، الثورة الجزائرية، .. وغيرها، هل من الإنصاف إعتبار هذا الرجل الذي قدم كل هذه الخدمات إلى العرب شعوبياً وحاقداً على القومية العربية؟
أما على المستوى الداخلي فكان حريصاً على التراث العربي والإسلامي ولم يبدر منه أي شيء لكي تلصق به هذه التهمة. ومن الجدير بالذكر أنه بعد نجاح ثورة تموز، أصدر الزعيم قاسم في اليوم الرابع من أيلول القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٥٨ وأطلق عليه قانون العفو العام عن الجرائم السياسية التي وقعت في المدة من أول أيلول ١٩٣٩ إلى ما قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والذي بموجبه أعاد المكانة إلى العقداء الأربعة القوميين قادة حركة مايس ١٩٤١ واعتبرهم شهداء الوطنية، كما شمل القانون يونس السبعاوي ورشيد عالي الكيلاني وغيرهم. كذلك شمل العفو الضباط الأكراد الذين التحقوا بالحركة الكردية عام ١٩٤٥.
كما أخذ الزعيم قاسم يرعى شخصياً عائلة كامل شبيب بعد إعدامه، حتى أنه عيّن ابنه الملازم عوض كامل في مقره في وزارة الدفاع وبقى ملازماً له حتى

انقلاب شباط ، حيث أُحيل على التقاعد وكان برتبة ملازم أول. كما عيَّن عام ١٩٦١ محمد سلمان، وزيراً للنفط، تكريماً لأخيه العقيد محمود سلمان، وتم طرده من قبل انقلابي شباط وأودع السجن، لا لشيء سوى كونه وافق أن يكون وزيراً في حكومة عبد الكريم قاسم.

تهمة شق الأحزاب وسياسة التوازنات

أما التهمة الثالثة وهي شق الأحزاب، فهي الأخرى لم تصمد أمام الزمن. لأن من الواضح أن الأحزاب هي التي بدأت تتصارع فيما بينها ولم تحتاج إلى تحريض من قاسم، وذلك بتفضيل مصالحها الذاتية على المصالح الوطنية وعدم إدراكها لما يحاك ضدها وضد الوطن.

ويقول بهذا الصدد الأستاذ محمد أمين: «لا أجدني بحاجة إلى التحدث عما جرى بعد ذلك، فذلك ليس بمهمة هذه الكلمة، ولكني أؤكد على عظمة هذه الثورة وأهميتها يومها في تاريخ العراق الحديث. هذه الثورة التي ظهر اليوم كثيرون مع الأسف يندون بها ويشوهون وجهها لأنها لم تبلغ غايتها التي كنا نريدها لها، ولا يدرون أن التقصير لم يكن من جانبها وان النكسات الكثيرة المؤذية التي تعرضت لها ومن ورائها شعب العراق لحد اليوم جاءت من أن القوى الوطنية لم تكن في مستوى مهماتها الحقيقية إزاء حدث كبير مثلها، فانشغلت بالتناقضات الداخلية التي فيما بينها غير ملتفتة إلى أن العدو الأكبر للجميع يقف لها كلها بالمرصاد.»

أما قاسم فكان يتوسل إليهم على نبذ صراعاتهم وتوحيد صفوفهم لحماية الثورة من المؤامرات التي كانت تحيق بهم وبالوطن. وقال في خطاب له بهذا الصدد:

« يقول واحد : هذا قومي، ويقول الأخر هذا شيوعي وذاك بعثي والثالث ديمقراطي . وأنا أقول هذا وطني وابن هذا البلد» وكان أكثر عمقاً لفكرته عندما أفصح عنها بالقول: « قمت بالثورة لصالح كل الناس إني دوماً مع الناس كلهم. أني فوق الميول والإتجهات والتيارات دوماً، وليس لدي انحياز لأي جانب كما إني أنتمي إلى الشعب بأسره، وإني أهتم بمصالح الجميع، وأسير

إلى الأمام معهم كلهم، كلهم أخوتي.» كما وناشد القوى المتصارعة بالقول: «أيها الديمقراطيون، أيها الشيوعيون، أيها القوميون، أتوسل إليكم أن تنبذوا خلافاتكم وتوحدوا قواكم في خدمة البلد»..

فالصراعات بدأت منذ الأيام الأولى من الثورة عندما طرح القوميون وبتعليمات من ميشيل عفلق الأمين العام للقيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي والقيادة المصرية، وتبنته قوى القومية العربية الأخرى، شعار الوحدة العربية الفورية. علماً أن هذا الهدف لم يكن من أهداف الثورة كما مر بنا. فالقوميون رفعوا شعار الوحدة العربية، واليساريون (الشيوعيون والوطنيون الديمقراطيون والمستقلون) رفعوا شعار الإتحاد الفيدرالي.

أما شق الأحزاب وخلق أحزاب وهمية أو منافسة، مثال حزب الوطني التقدمي بقيادة المرحوم محمد حديد الذي انشق عن حزب الوطني الديمقراطي، فلا أعرف كيف يستطيع شخص عسكري يتهم بالجنون والجهل في السياسة، أن يؤثر على سياسي وطني محترف وخبير في الإقتصاد وسياسي محنك مثل محمد حديد على شق أحزابهم.

الواقع هو أن البلاد كانت تمر في مرحلة ثورة وطنية لو قدر لها البقاء، لكانت ثمارها عظيمة للجميع، ولكنها كانت مهددة بالأخطار. وقد توسل قاسم بالجادرجي أن يقبل منصب نائب رئيس الوزراء خلال المرحلة الإنتقالية إلى أن تجرى الإنتخابات البرلمانية فرفض الجادرجي ذلك كما رفض التعاون مع قاسم، بل ناصب له العداء. أما وجهة نظر محمد حديد وأغلب أعضاء قيادة الحزب فكانت مع دعم الثورة والوقوف مع قاسم...

أما الحزب الآخر الذي حصل فيه الإنشقاق فهو الحزب الشيوعي العراقي وتم خلق حزب بقيادة داوود الصائغ، الذي أجيز دون الحزب الشيوعي الحقيقي. الكل يعرف أن الزعيم لم يقصر في موقفه الإيجابي من الحزب الشيوعي العراقي وخاصة في السنة الأولى من الثورة بل وحتى قبلها. ولكن مع الأسف الشديد، وبإعتراف العديد من قيادة الحزب (عامر عبدالله وعزيز الحاج وغيرهما) أن الحزب أساء التصرف ولم يستخدم الحرية التي وفرتها له الثورة بشكل إيجابي لصالح الوحدة الوطنية. ثم جاءت أحداث الموصل

وكركوك المأساوية والتي تورط بها الحزب مما أساء ليس إلى سمعته فحسب، بل وإلى سمعة الثورة والزعيم قاسم بالذات ولحد الآن ولعب هذا السلوك دوراً كبيراً في إنهيار الثورة وذلك لأنه بث الرعب في قطاعات واسعة من الشعب وخاصة الدينية والقومية والرجعية بالإضافة إلى إثارة الرعب في الدول العربية والإقليمية التي كانت تعتقد خطئاً أن قاسم كان شيوعياً وأنه مقدم على إعلان النظام الشيوعي في العراق قريباً. كل هذا جعل أكثر من أربعين جهة داخلية وخارجية تتحالف ضد الثورة، لا يجمعها جامع سوى عدائها للثورة والشيوعيين، لأنها كانت مرعوبة من الخطر الشيوعي. لذلك اضطر قاسم تغيير موقفه من الحزب الشيوعي لحماية الثورة، خاصة بعد أحداث كركوك الدامية وخطابه المشهور في كنيسة مار يوسف.

وعندما أجيزت الأحزاب للعمل العلني، رفض وزير الداخلية إجازة حزبين فقط وهما حزب التحرير الإسلامي والحزب الشيوعي. وقد أجيز حزب داود الصائغ بدلاً عنه. وكما ذكرنا في فصل سابق، اعترض حزب التحرير الإسلامي على قرار الوزير وقدم شكوى على الحكومة إلى محكمة التمييز التي بدورها أصدرت قراراً بإجازة الحزب. ولم يتدخل قاسم بقرار المحكمة وأجيز الحزب للعمل رغم أن هذا الحزب كان يجاهر بعدائه لقاسم وحكومته وانتهى دوره مباشرة بعد إسقاط حكومة الثورة في إنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. لذلك كان على الحزب الشيوعي أن يحذو حذو حزب التحرير، فيقدم شكوى إلى محكمة التمييز للنظر في قرار إجازته، إلا إنه لم يعمل ذلك. والجدير بالذكر أن حزب الشيوعي هو الآخر عمل أيام الثورة على إختلاق حزب وهمي بإسم الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة ناجي يوسف والد زوجة سلام عادل وأقاموا جبهة موحدة مفتعلة.

ثقافة قاسم

لم يتعرض كاتب سياسي أو ناقد إلى ثقافة أي حاكم، سواء في العراق أو في البلاد العربية، عدا التطرق إلى ثقافة عبدالكريم قاسم. فهؤلاء النقاد فشلوا في الطعن بوطنية قاسم وإخلاصه وحبه للشعب والوطن، ثم حاولوا الطعن في عروبته وإخلاصه للأمة العربية ووصموه بالشعوبية، ولما فشلوا في

إثبات أي من هذه التهم لم يبق أمامهم سوى اللجوء إلى الطعن بثقافته. فهل حقاً كان قاسم غير مثقف؟

يؤكد الأستاذ حسن العلوي الذي كان يسكن مجاوراً لبيت الزعيم، عندما كان تلميذاً في المدرسة، فيقول: «كثيراً ما أسررت أم حامد (أم عبدالكريم قاسم) رغبتي بإستعارة كتاب... من خزانة قاسم فصحبتني إلى غرفته لأنتقي أحد الكتب، وهي حافلة بكتب الجغرافيا والتاريخ واللغة والأدب مع مجموعة من الكتب الأجنبية. وكنت كلما فتحت كتاباً وجدت الخطوط بالقلم وقد سودت ما بين السطور، فأريها ذلك كي لا تتهمني بالعبث بالكتب فتولول قائلة (هذه عادة عبدالكريم). وقد أثار إنتباهي كثرة قراءاته النحوية. وكنت بعد أن أخذ مكانه في زعامة العراق، وصرت صحفياً ومدرساً للغة العربية أتابع بإهتمام -وكأي معلم- جملة إعرابية. فأشعر بإرتياح لأنه لا يلحن باللغة العربية فأعود بذاكرتي إلى تلك الخطوط مرة أخرى.»

ولكن مع ذلك يصر هؤلاء على أن عبد الكريم «غير مثقف». فما المقصود بالثقافة في هذه الحالة. فالرجل خريج الكلية العسكرية وكلية الأركان العراقيتين وسانت هيرز البريطانية. وكان يقرأ الكتب الأدبية والتاريخية وغيرها، وقارئ للصحف البريطانية. وكان يقرأ الصحف الوطنية وخاصة صحيفة الأهالي حتى اعتبر نفسه تلميذاً لجماعة الأهالي ومؤمنا بمبادئها كما هو معروف.

ويقول وزير خارجيته هاشم جواد أنه كان يقرأ الكتب عندما يذهب لبيته أيام الجمعة. نعم لم يكن قاسم متأدلجاً في ثقافته. بمعنى لم تكن ثقافته تحمل لأيديولوجية شيوعية، أو بعثية عروبية. وفي رأيي هذه من الصفات الحميدة في السياسي في بلد متعدد الإتجاهات الفكرية والقومية والدينية كالعراق. فالأيديولوجية السياسية هي قوالب فكرية جامدة عصية على التغير، تفرض على المؤدلج تطبيقها بغض النظر عن ملاءمتها للواقع، أي فرضها على الواقع بالقوة في حياة متحركة أبداً وظروف متغيرة بإستمرار. وهذا الجمود العقائدي غير صحيح في عالم متغيّر بإطراد. وقد أثبت الزمن صحة مواقف قاسم. ومن سوء الحظ أن قاسم جاء في وقت كان فيه التنافس والتصارع الأيديولوجي على أشده إلى حد الصراع الدموي، ولم يكن فيه مكان

لخط الوسط والإعتدال والعقلانية. فأراد قاسم أن يكون للجميع حسب شعاره الذي رفعه منذ البداية: «فوق الميول والإتجاهات». وقد أدركنا الآن أن فكرة قاسم كانت صحيحة وبذلك فكان قاسم الرجل المناسب لوقت غير مناسب، لم يعرفوا قدره إلا بعد فوات الأوان.

أما إذا كان المقصود بالمثقف بأن نقارن ثقافة قاسم ببرتراند راسل أو جان بول سارتر أو روجيه غارودي وغيرهم من محترفي الثقافة، نعم فثقافة عبد الكريم قاسم دون ثقافة هؤلاء بكثير لأنه لم يكن فيلسوفاً، وكما يقول علي الوردي، ليس من صالح الشعب أن يصير الفيلسوف حاكماً، كما طالب به إفلاطون، لأن الحاكم الفيلسوف يحمِّل شعبه فوق طاقته. ولكن لو قارنا ثقافة قاسم بمن حكم العراق من قبله ومن بعده لتبيَّن لنا أنه كان أثقفهم.

«فثقافة الملك فيصل الأول عثمانية، وثقافة إبنه غازي شبه معدومة، وعبدالإله لم ينه الدراسة الثانوية، وثقافة نوري السعيد كمعظم السياسيين الملكيين عسكرية عثمانية، والرجل عاش ومات من دون أن نعرف هل نجح أو فشل في دورة الأركان العثمانية،وثقافة عبد السلام عارف لا تستحق الذكر وثقافة أخيه عبدالرحمن أقل منها كما هي ثقافة أحمد حسن البكر وطاهر يحيى، وثقافة عبدالناصر عسكرية مصرية، قارن هذا بذاك .. وإذا أخرجنا الهذر العفلقي من رأس علي صالح السعدي لما بقي لديه غير السكر والعربدة».

وبالرغم من أهمية الثقافة لأي إنسان ناهيك للقائد السياسي، لكن هل نجاح القائد السياسي في الحكم يعتمد على ثقافته؟ فلو راجعنا التاريخ منذ تدوينه لوجدنا أن القادة الأقل ثقافة والأكثر شراً هم الذين انتصروا على الأكثر منهم ثقافة.

وإذا جئنا إلى تاريخنا المعاصر، فهل كان نوري السعيد أثقف من الدكتور محمد فاضل الجمالي، خريج الجامعات الأمريكية وتلميذ الفيلسوف جون ديوي؟ وهل كان عبدالسلام عارف أثقف من عبدالكريم قاسم؟ وهل كان طاهر يحيى (العسكري) أثقف من عبد الرحمن البزاز (أستاذ القانون وصاحب المؤلفات)؟ فجميع الذين تغلبوا في السلطة كانوا أقل ثقافة من خصومهم الذين أزيحوا عنها، ومن كل ذلك نعرف أن نجاح القائد السياسي في الحكم لا يعتمد على

ثقافته بل وكما قال الإمام علي عليه السلام يعتمد على الغدر والفجور. فهناك قادة من أمثال علي وعبدالكريم قاسم يأنفون من اتباع وسائل الغدر، فيضحون بأنسفهم من أجل قيمهم ومثلهم، وهذا ما حصل للزعيم عبدالكريم قاسم.

أخلاقية عبدالكريم قاسم

لا أحد يستطيع الطعن باخلاق ونزاهة ووطنية قاسم، ولكن يكفي أن نذكر مثالاً واحداً على نبل هذا الإنسان، إذ يقول المرحوم عبداللطيف الشواف، وزير الصحة في عهد قاسم في كتابه الموسوم (عبدالكريم قاسم وآخرون)، لقد سمعت من صديق أثق بخلقه وكفاءته أنه لما نشب الخلاف بين المرحوم الملا مصطفى البرزاني وعبدالكريم قاسم في الستينات وسرعان ما وصل إلى مواجهات عسكرية خطيرة في شمال العراق- حاول الشاه استغلال الوضع للحصول على مكاسب سياسية فعرض- سراً – على عبدالكريم قاسم بواسطة الملحق العسكري الإيراني في بغداد- التعاون للقضاء على الثورة الكردية، فجوبه برفض المرحوم عبد الكريم قاسم وقوله له (بأنه لا يتآمر ضد أبناء شعبه- يقصد الملا مصطفى والثورة الكردية)، والذي روى هذه الرواية هو الزعيم عبدالله العمري (صديق عبد الكريم وصديق الحزب الوطني الديمقراطي وعميد كلية الأركان في عهد المرحوم عبدالكريم).

شعبية قاسم

المعروف عن عبد الكريم قاسم أنه نال أوسع شعبية من أي زعيم سياسي في تاريخ العراق الحديث، والسر في ذلك هو بساطته ونزاهته وحبه للشعب وخاصة الطبقات الفقيرة، فقد بنى لهم عشرات الألوف من الدور السكنية وعمل على رفع مستواهم المعيشي وكان يلتقي بهم بتكرار. وهو أول عراقي من عامة الشعب يصل إلى رئاسة الحكومة، فهو الذي كان يعتز بكونه إبن نجار. ونتيجة لذلك فقد كسب قلوب وعقول الناس، فهو بالنسبة لجماهير الشعب يعد بحق بطلهم الأسطوري. وفي مثل هذه الحالات، وفي مرحلة تاريخية معينة كالتي كان يعيشها العراق آنذاك، لا يكتفي الإنسان بالصفات البشرية المعروفة

على البطل، بل لا بد أن تتدخل الأسطورة في الواقع، لإضفاء صفات أسطورية عليه فوق مستوى البشر. والتاريخ مليء بالأمثلة. ولم تخذله الجماهير المحبة له فقد خرجت بمئات الألوف لنصرته يوم إنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، إلى حد أنه عندما سمع قاسم بالانقلاب وهو في بيته، وأراد الذهاب إلى وزارة الدفاع عن طريق شارع الجمهورية فلم يستطع لأن الشارع كان مكتظاً بالجماهير التي تهتف (ماكو زعيم إلا كريم). ففي ساحة التحرير التي كانت عبارة عن بحر بشري وكذلك شارع الرشيد، كانت الجماهير تحمل صور الزعيم وهي تردد نفس الهتاف، ويقال أن طاهر يحيى أراد أن يشق طريقه ليلتحق برفاقه الإنقلابيين قرب وزارة الدفاع، فشق طريقه بصعوبة وسط الجماهير وهو يردد معهم (ماكو زعيم إلا كريم).

وتحت عنوان (الرعب في خدمة الثورة -إنقلاب ٨ شباط-) يذكر طالب شبيب في مذكراته: «وفي المدخل الرئيسي للمعسكر (الرشيد) قام أنور عبد القادر الحديثي بعمل مرعب، لا أعرف ماذا ستكون نتائجه علينا، لكنه أثر كثيراً على معنويات الجنود والضباط داخل المعسكر. فقد تجمهر أمام بوابة معسكر الرشيد الرئيسية حشد من الجنود وضباط الصف وبعض الضباط والمدنيين يهتفون «ماكو زعيم إلا كريم» و«عاشت الجمهورية العراقية الخالدة»، وآنذاك نادى أنور الحديثي على أحد الهاتفين وطلب منه إعادة هتافه، ولما أعاده، أطلق عليه أنور من مسدسه الذي صوبه نحو رأس الجندي مباشرة فسقط على الفور ميتاً. وفرغت الساحة من كل المتظاهرين، بسبب ما سببته العملية من رعب وذعر.»

هل كان قاسم دكتاتوراً ؟

الدكتاتورية ظاهرة لها صفات معينة. وهذه الصفات تمتد من الحاكم الدكتاتور في قمة السلطة إلى أوطأ الطبقات في الدولة. فتجدها في الشارع وفي الدائرة وفي المعمل وفي الصحافة والإعلام وفي كل مكان. في النظام الدكتاتوري هناك جواسيس ورجال الأمن منتشرين في كل زاوية من زوايا المجتمع يحصون على الناس أنفاسهم. والناس في حالة هلع خوفا أن تبدر منهم بادرة يحاسبون عليها.

هذه الصفات لم تكن موجودة في عهد قاسم حسب إعتراف خصومه ومحبيه. فالصحافة كانت تتمتع بالتعددية ولم تكن مؤممة. يقول حسن العلوي: «أقيمت مناقب نبوية على أرواح الطبقجلي ورفاقه، ساهم فيها قارئ المقام يوسف عمر، وقارئ القرآن عبدالستار الطيار، وكان كل منهما يقرأ قصائد معادية للوضع القائم آنذاك، وتنصب المايكروفونات في الأماكن العالية، دون أن يتعرض لها أحد من أفراد الشرطة والأمن والإنضباط العسكري، لكونها أماكن دينية ولم يتعرض لها عبد الكريم قاسم طيلة فترة حكمه مع إنها كانت مراكز نشاط معارض لحكمه.. وبرز إسم يوسف عمر ليس مطرباً بل محرضاً من أهم المحرضين ضد ذلك الحكم. وكانت حفلاته الغنائية العادية تنقل بالإذاعة والتلفزيون بشكل مستمر.»

وعندما كانت تخرج مظاهرات معادية له تهتف (يا بغداد ثوري ثوري، خلي قاسم يلحك نوري) كان قاسم يبعث بالجنود بعد تجريدهم من السلاح، لا لضرب المتظاهرين ضده، بل لحمايتهم من مظاهرة أخرى يقوم بها اليساريون لمنع التصادم بينهما. كان خصومه يقدمون نكات لاذعة ضده وضد المهداوي علناً وعلى المسارح دون أن يتعرضوا إلى أية مساءلة. واعترف سجناء سياسيون من البعثيين أن السجن كان أشبه بالفندق تتوفر لهم الفرص لنشر أفكار حزبهم وتنظيم الآخرين. وبهذا الخصوص يشهد الأستاذ معاذ عبدالرحيم وكان عضواً في حزب البعث وأحد المعتقلين فيقول: «إن الإعتقال أيام عبدالكريم قاسم كان بالنسبة لنا.. أشبه بالفندق، لا تعذيب ولا تنكيل فالعناية جيدة مواجهة الأهل مستمرة وما يصلنا من الأهل من طعام وملابس متيسر بل أن الموسرين من المعتقلين يطلب من أهله أن يزودونه بأكلة (الباجة) وبالدولمة وغيرها من الأكلات العراقية المشهورة، وكنت من أعضاء الحزب الذين لم يمنعهم الإعتقال من العمل لكسب الأنصار والمؤيدين للحزب..»

كما ويذكر حسن العلوي الذي كان معارضاً لقاسم ودخل الإعتقال آنذاك قائلاً: «كانت ليالي الاعتقال تتحول إلى جلسات حزبية وأهازيج.. وكان ناظم كزار يعقد محكمة خاصة والتي تقضي عادة على المتهم اليومي عبدالكريم قاسم بالإعدام. فيقوم ممتاز قصيرة (طالب طب الذي أعدمه عارف فيما بعد)

بالتنفيذ ويصيح: راح الزعيم.. إطلقوا سراح عبدالسلام من السجن».
لا بل كان بيت قاسم دون حراسة مما أمكن حزب البعث دس المناشير في غرفة نومه بواسطة طفل من الجيران. ولما اكتشف ذلك لم يحاسب أحداً وهو يعرفهم بل تحول إلى بيت آخر كما يشهد بذلك حسن العلوي. فيا ترى هل هذا الشخص دكتاتور.؟

وعن صفات قاسم، يقول حنا بطاطو: ومما يعكس شخصية قاسم في هذه المرحلة ملاحظته التي أدلى بها في أحد أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، إلى محمد حديد، وزيره للمالية. فعند خروجه من مؤتمر للمحامين عقد في فندق بغداد، حيث كيل له المديح على كل النغمات الممكنة، التفت إلى حديد قائلاً: «أبو هيثم، أشد ما أخشاه على نفسي أن يصيبني الغرور». وكانت هناك صورة مطابقة لهذه التي رسمها لقاسم، هاشم جواد، وزيره للخارجية من ١٩٥٩- ١٩٦٣، إذ قال: «في البداية، كان يسهل الوصول إليه، وكان مفتوح الذهن وشديد التوق للتعلم... ولكن الأحداث وضعت المزيد والمزيد من السلطات في يديه... وما زلت أتذكر كيف أنه في الأشهر التي تلت إنقلاب الموصل الفاشل عندما عمت الفوضى الجهاز الإداري، لم يعد الوزراء يتخذون أية مبادرة من دون الرجوع إليه.. وهكذا فإن قاسم الذي لم يكن له رأي مسبق ولا مبادرة الذي عرفته في عام ١٩٥٨ بدأ يتذوق لذة كونه الرجل الوحيد في البلد. وبكلمات أخرى: لقد صنعنا دكتاتوراً... إن شعبنا في الحقيقة صانع للدكتاتورين.

لذلك ومن كل ما تقدم، نعرف أنه لا تنطبق صفات الدكتاتور على قاسم. بل كان من أقرب السياسيين إلى الديمقراطية. فعندما أقدم حسين جميل، عضو قيادة في الحزب الوطني الديمقراطي، وزير الارشاد (الإعلام) على غلق صحيفة الحزب الشيوعي (إتحاد الشعب)، رفض وأعاد نشرها وعندها استقال الوزير إحتجاجاً على ذلك. ومن الغريب أن يقدم رجل قانون وديمقراطي ليبرالي مثل حسين جميل بغلق صحيفة بسبب خلاف سياسي. فمن كان أقرب للديمقراطية والليبرالية، قاسم العسكري، أم حسين جميل السياسي المدني وهو الشخص الثاني في الحزب الوطني الديمقراطي بعد زعيمه الجادرجي؟.

وقال عنه محمد حديد أنه كان أقرب أقرانه العسكريين إلى روح التسامح وفكرة الديمقراطية، فقد ظلت مناصب الدولة في عهده موزعة على الجميع وليس على تيار سياسي واحد.

وقاسم معروف عنه بالرحمة، فهو أول حاكم عراقي بشر بروح التسامح وشعاره المعروف (عفا الله عما سلف) وأبناء ذلك الجيل يتذكرون تصريحاته بعد خروجه من المستشفى الذي عولج به من إصاباته البالغة إثر إطلاق الرصاص عليه في شارع الرشيد من قبل الطغمة العفلقية، حيث عفا عنهم بعد أن حكمت عليهم المحكمة بالإعدام. هذا الموقف المتسامح يؤاخذه عليه اليساريون فيقول الشاعر كاظم السماوي في مذكراته بهذا الخصوص: «نهض عبد الكريم قاسم بعد محاولة اغتياله، وكان المؤمل أن يضرب بيد من حديد، ولكنها كانت من خشب» نعم أراد قاسم أن يضرب مثلاً في روح التسامح في بلد تشبع شعبه على قيم الثأر والإنتقام.

استشهاد الزعيم

يلوم قاسماً محبوه وقوى اليسار لرفضه تسليح الجماهير من أنصاره يوم ٨ شباط ١٩٦٣ لسحق الإنقلاب، لقد رفض تسليح أنصاره لسبب معروف وهو منعاً للحرب الأهلية وكان يفضل استشهاده على إغراق البلاد في هذه الحرب، وكان الزعيم قاسم مصمماً على القتال إلى الإستشهاد ولكن عندما اتصل بعبدالسلام عارف يوم ٩ شباط،، وكان يونس الطائي هو الذي يتفاوض بين الجانبين، مؤكداً له أنهم سيضمنون سلامته ومن معه من رفاقه الضباط الآخرين، وأن (بينهم خبز وملح-على حد تعبير عارف)، مصدقاً بوعود عارف حيث أن قاسم نفسه عفا عنه عندما حكمت عليه محكمة الشعب بالإعدام. لذلك صدق بوعودهم فأنهى القتال واستسلم حقناً للدماء. فلماذا نلوم قاسماً على ذلك، فاللوم على أولئك الذين نكثوا بعهودهم.

ولما طالبته الجماهير بمدها بالسلاح لسحق المتآمرين، فرفض خوفاً من اندلاع حرب أهلية وإغراق البلاد في بحر من الدماء. ففضل التضحية بنفسه ورفاقه على سفك دماء الشعب، أما حول ما يسمى بالمحاكمة فيقول طالب شبيب: دار بيننا حديث غير منظم سادته حالة من التوتر، ولم يكن هناك أي شيء يمكن

تسميته بمحاكمة. وكل كلام قيل أو يقال عن إنشاء هيئة حاكمتهم إنما هو نوع من «التسفيط» والتخيل (الخيال)!! ومن الممكن أن يكون قد تدخل علينا رجال يحثون على موقف معين مثل خالد مكي الهاشمي، وكلهم يحثون على الإعدام أو الإسراع به».

وشاهد عيان آخر من الإنقلابيين وهو (عبدالستار الدوري) كان حاضراً، قال في برنامج (بين زمنين) أنه عندما دخل عبد الكريم قاسم القاعة راح ينظر في وجوه الإنقلابيين واحداً واحداً يتأملهم باندهاش وكأنه غير مصدق أن هؤلاء ينقلبون عليه، ولما حان وقت إعدامه اعتدل في مكانه ووضع سدارته على رأسه وكأنه يتهيأ لأخذ صورة له والبنادق المصوبة نحوه كأنها كامرات. هكذا كانت شجاعة قاسم وهو يواجه الموت، ثم نفذ حكم الإعدام به وبرفاقه الشهداء فاضل عباس المهداوي، وطه الشيخ أحمد وخليل كنعان. «ومع إنهمار ذخيرة الموت انطلق صوت قاسم هاتفاً بحياة الشعب».

حقائق بعد الإعدام

بعد أن تخلصوا من قاسم ذهب عدد من فرسان إنقلاب ٨ شباط إلى مكتبه في وزارة الدفاع عسى أن يعثروا على دليل جرم ليتخذوا منه وسيلة للتشهير به. فوجدوا عدة أشياء ولكن كلها كانت في صالحه، نذكر منها أربعة ملفات جديرة بالإشارة: ملف زغيب، المدرس اللبناني المنتدب للتدريس في جامعة بغداد، يبين أنه كان جاسوساً من المخابرات الأمريكية وحلقة وصل بين قيادة البعث في بغداد وصديقه مشيل عفلق، وقد جئنا على ذكره في فصل أسباب إغتيال الثورة. ومسودة القانون الجديد للجنسية العراقية والذي كان سيلغي القانون القديم الذي قسَّم العراقيين إلى مواطنين من الدرجة الأولى والثانية. وملف آخر يحتوي على وثائق إتصالات سرية بين الحكومة الكويتية والحكومة العراقية لحل الصراع بينهما ديبلوماسياً وكاد أن يفضي إلى قيام إتحاد فيدرالي أو كونفيدرالي بين البلدين مقابل فتح المجال لإستثمار الرساميل الكويتية في العراق على نطاق واسع. وكان أحد المفاوضين من وراء الكواليس هو المرحوم موسى علاوي الذي بعث إلى الأستاذ حسن العلوي رسالة خطية

عام ١٩٩٧، يخبره بالتفاصيل . كذلك وجدوا سجلاً يضم أسماء العائلات العراقية الفقيرة التي كان قاسم يوزع عليها رواتبه. ومن يومها أدرك هؤلاء أنهم قد قتلوا زعيماً لم يعرف العراق له نظيراً في نزاهته. وكما يقول بطاطوا : « أما اليوم، فيعترف غير قليل من أولئك الذين وقفوا ضده في تلك الساعة بأن عامة الشعب كانت تكن له حباً مخلصاً يفوق حبها لأي حاكم آخر في تاريخ العراق الحديث».

قوة الزعيم في موته

من المعروف أن الشهداء الأبرار هم أقوى في موتهم مما هم عليه في حياتهم. هكذا كان المسيح والحسين وغاندي وجيفارا وغيرهم. وبكل تأكيد كان إستشهاد قاسم، المعروف بتسامحه، بهذه القسوة والوحشية من قبل رفاق الأمس قد جعل منه الأقوى في موته مما كان عليه في حياته، هذه الحقيقة أدركها الشباطيون وأرعبتهم كثيراً منذ اللحظات الأولى من إنقلابهم، وهذا هو السبب الذي جعلهم يلقون جثته الممزقة بالرصاص، في النهر خوفاً من أن يتخذ الشعب من القبر مزاراً أو رمزاً بعد أن يعود الوعي الغائب أو المغيب قسراً. وفعلاً صار قاسم أسطورة في مخيال الجماهير الشعبية الفقيرة التي لم تصدق عن مصرعه وراحوا يتصورونه حتى في القمر.

شهادة علي الوردي بحق الزعيم

يجدر بي قبل أن أنتهي من كلمة الوداع، هذه أن أشير إلى موقف الزعيم عبدالكريم قاسم في هذه المرحلة الاجتماعية الهامة من تاريخنا. فلقد أعلن الرجل غير مرة أنه فوق الميول والاتجاهات، واعتقد أنه صادق فيما قال. ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أعد موقفه هذا خالياً من الدقة والحراجة.

إنه ليس قائد حزب وإنما هو قائد بلد تتصارع فيه الأحزاب، وهو إذن معرض للحيرة أكثر من تعرض أي قائد حزبي لها. وكلما تأملت في حراجة موقفه هذا شعرت بالثقل الهائل الموضوع على عاتقه. ساعده الله!

إنه لا يستطيع أن يتجاهل أهمية الحماس الشعبي في تأييد الثورة التي تكاثر عليها الأعداء، وهو لا يستطيع كذلك أن يجاري هذا الحماس إلى الدرجة التي

اندفع بها المتعصبون المتسرعون. بين يديه من جهة بلد يحتاج إلى استقرار، وبين يديه من الجهة الأخرى ثورة تحتاج إلى تأييد. ولا بد للرجل من أن ينظر في هذه الجهة تارة وفي تلك الجهة تارة أخرى.

إني أشعر بالعجز في سياسة صف واحد من الطلاب حين يشتد الجدل بينهم، فكيف بالرجل وهو يقود ثورة كبرى كثورة ١٤ تموز وفي مجتمع كالمجتمع العراقي. ومهما يكن الحال فإننا يجب أن نحني رؤوسنا اعترافاً بما وهب الرجل من مهارة في قيادة سفينة البلد بين هاتيك الأمواج المتلاطمة. (د. علي الوردي، في كتابه: الأحلام بين العلم والعقيدة، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤، ص ٣٣١-٣٣٢).

وأخيراً، من هو عبدالكريم قاسم؟

كان عبدالكريم قاسم يجسد في شخصه وبصورة مكثفة، الجوانب الإيجابية والمشرقة من القيم والأعراف والتقاليد العراقية الجميلة المحببة عند العراقيين، في الوطنية والقومية والإنسانية والنبل والشهامة والشجاعة والكرم والمروءة والتسامح والبساطة والعفو عند المقدرة وحب الناس، وبالأخص الفقراء منهم، والثقة العالية بالنفس وبالشعب وبالناس المحيطين به والإعتماد عليهم. وهذه الصفات النبيلة هي التي أحالت بينه وبين المكر الذي قد يلجأ إليه السياسي الداهية أحياناً لإيهام الخصوم والإيقاع بهم وإبقاء الموالين له متماسكين من حوله والحفاظ على التوازنات ووحدة القوى الوطنية. وقد وضعته الأقدار في قمة القيادة وسلمته أعلى مسئولية لقيادة البلاد في مرحلة من أشد مراحل تاريخ العراق غلياناً وعربدة وهياجاً وانفجاراً. في تلك الإنعطافة التاريخية الكبرى التي لا بد من حصول الإنشقاق والصراع العنيف بين مكونات الشعب وقواه السياسية التي لم يسلم منها أعظم رجالات التاريخ مهما أوتوا من قدرة وكفاءة ودهاء. والظروف التي مر بها قاسم ومعاناته كانت فوق طاقة أي قائد مهما كان حكيماً وداهية، أشبه بتلك التي مر بها الإمام على بن أبي طالب (ع).

ويمكن القول أن عبدالكريم قاسم كان يمتلك في شخصه طاقات كامنة وإمكانيات كبيرة كسياسي ورجل دولة لم تسمح له الظروف العاصفة بعد الثورة لإبرازها

في السياسة والإدارة، لأنه رغم تلك الظروف العاصفة، استطاع الرجل أن يحقق الكثير للعراق ودون أن يكون عنده حزب أو مؤسسات إستخبارية نشطة لتحميه. وعليه أعتقد أن نهاية قاسم بتلك الطريقة اللئيمة لا تدل على ضعفه أو نقص في ثقافته ومهارته في شيء، بل كانت حتمية فرضتها ظروف المرحلة التاريخية التي جاءت بالثورة والقوى السياسية التي ساهمت بها ولأن تلك القوى كانت وماتزال في مرحلة المراهقة السياسية، لم تدرك المخاطر المحيقة بها. ولذلك كان قاسم وكأي شهيد في التاريخ، برز وهو أقوى بعد مصرعه مما كان عليه في حياته. وسيبقى عبدالكريم قاسم، ابن الشعب العراقي البار رمزاً للوطنية العراقية والعدالة الاجتماعية، حياً في وجدان الأغلبية الساحقة من الشعب العراقي.

منجزات الزعيم:

ملعب الشعب الدولي.

معرض بغداد الدولي في المنصور، ميناء ام قصر في البصرة.

المستشفيات

مدينة الطب في بغداد والمستشفى الجمهوري

مستشفى اليرموك

مستشفى الكرخ

مستشفى ابن النفيس

مستشفى النعمان

مستشفى الشماعية

مستشفى الطوارئ للاطفال

مستشفى تكريت

مستشفى دهوك

توسيع مستشفى الحلة

توسيع مستشفى الفرات الاوسط في الكوفة

توسيع مستشفى كركوك

توسيع مستشفى كربلاء

مستشفى عفك

مستشفى الديوانية

مستشفى الرمادي

مستشفى شقلاوة

مستشفى الموصل

مستشفى الجذام

مستشفى البصرة

مستشفى العمارة

مستشفى الكاظمية

١٦٠٠٠٠ مستوصف

٢٨٠٠٠٠ مذخر ادوية

جسور

جسر الكرادة المعلق

جسر باب المعظم

جسر الكوت

جسر روزخانه

جسر علي الغربي

جسر حديثة

معبر حديثة

معبر تكريت

جسر المهناوية

جسر الفلوجة

جسر السليمانية – جوارتا

جسر سوق الشيوخ

جسور طريق ديانا – سيدي كان

جسر كوردره

جسر كرمة علي

جسر القيارة

جسر الديوانية – ابي صخير

جسر جلولاء

جسر ديالى ومقترباته

جسر الرفاعي

جسر البو صالح

جسر الكحلاء

مدن

انشاء مدينة الثورة

انشاء مدينة الشعلة

انشاء مدينة اليرموك (الاربع شوارع)

انشاء مدينة زيونة (الضباط)

انشاء مدينة الرشاد

انشاء مدينة المعامل

انشاء حي السلام

انشاء مدينة الشعب

انشاء حي نواب الضباط

انشاء مدينة بأسم الثورة والاسكان في اغلب محافظات العراق

مدارس

بناء ٢٣٣٤ مدرسة - ٧٧٦ مدرسة لمحو الامية.

سدود

سد دوكان

سد دربندخان

سد اعالي الفرات

سد اسكي بالموصل

مصانع ومعامل

مصنع الورق في البصرة

مصنع الزجاج في الرمادي

معمل البان ابو غريب

معمل البتروكيمياويات في البصرة

معمل الاودية في سامراء

معمل الحرير في الحلة

معمل الحرير في الهندية

معمل الحديد والصلب في البصرة

- معمل الاسمدة الكيماوية في البصرة

مصنع الفولاذ والسباكة في بغداد

مصانع السيارات في الاسكندرية

معمل الاحذية الشعبية في الكوفة

مصنع تعليب كربلاء

مصنع سمنت سرجنار

مصنع سمنت الموصل

معمل السكر في العمارة

معمل السكاير في السليمانية

معمل استخلاص الكبريت

معمل المصابيح الكهربائية في بغداد

معمل الصناعات الخفيفة في بغداد

معمل الحياكة في الكوت

معمل النسيج في الكوت

الفرن الذري للاغراض الطبية في بغداد

مصنع الثرمستون

مصنع الكتل الكونكريتية في بغداد

معمل النسيج في الناصرية

معمل الخياطة في بغداد

معمل السكر في الموصل

معمل اللوازم والعدد الكهربائية

معمل الالات والمعدات الزراعية

مصنع الاسكندرية للجرارات الزراعية

مصنع الاسكندرية للاسلحة الخفيفة

معامل الطابق الجمهوري عدد ٧

مصنع اطارات الديوانية

معامل الاعاشة للخبز الاوتوماتيكي

معمل الاكياس الورقية

معمل طباعة الكرتون

معمل الاثاث المعدنية

مجموعة معامل الطحين عدد ٢٥

معمل صناعة الابواب الخشبية

معمل دباغة الجلود

مصنع الطابوق الناري والسيراميك

مصنع المواد المضادة والمستحضرات الصيدلانية

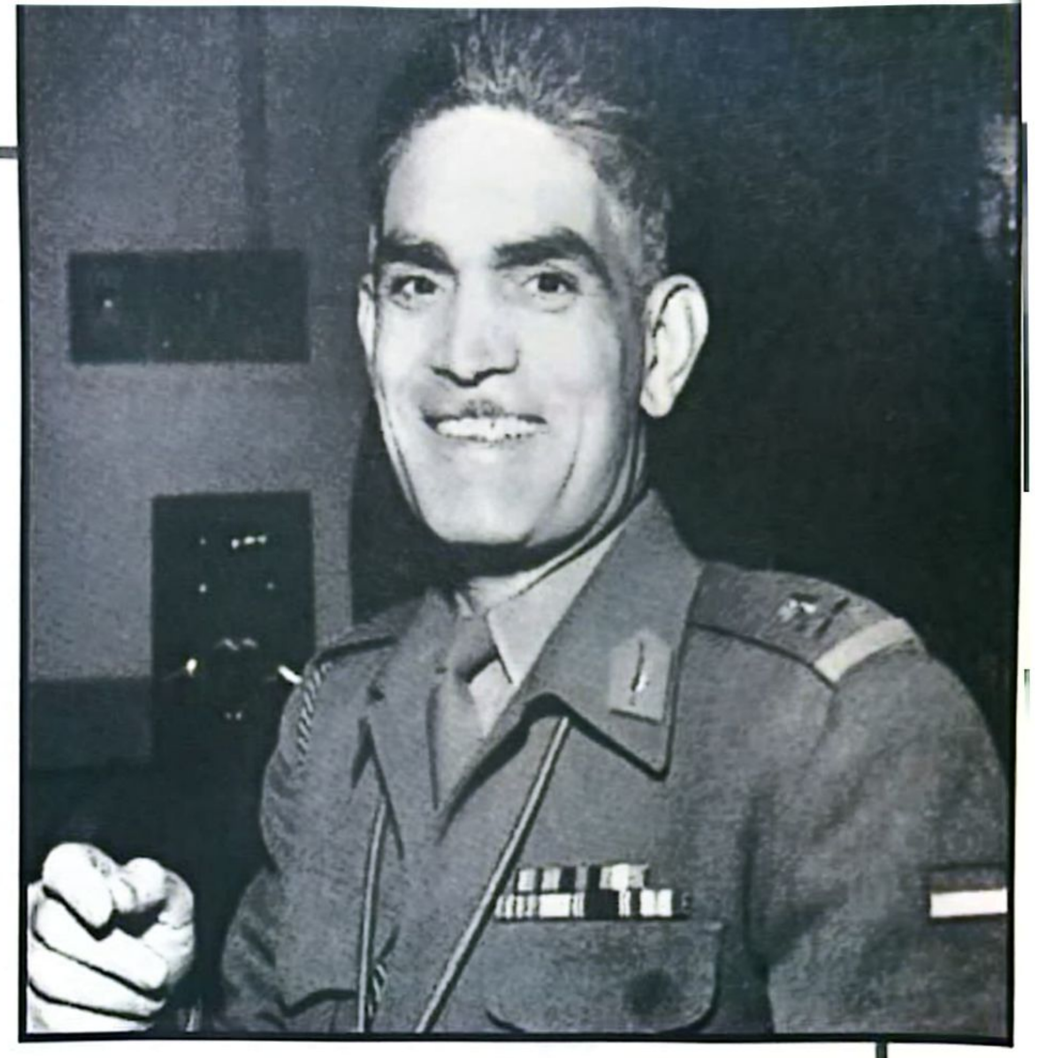
مجموعة معامل كبس التمور عدد ١٤

قوانين

قانون الاصلاح الزراعي الذي حرر الفلاح من نير الاقطاع وجوره. قانون من اين لك هذا؟ الخاص بنزاهة المسؤولين.قانون الاحوال الشخصية الذي يحمي حقوق المرأة قانون رقم ٨٠ الخاص بتأميم النفط.



وثائق وصور



اللواء الركن عبد الكريم قاسم



الملازم شاكر العزاوي
في أول تخرجه



هدية صورة الزعيم موقعا عليها الى اللواء العزاوي

معسكر الكلية العسكرية الملكية فى سكرين





البدلة التي كان يرتديها العزاوي خلال مرافقته الزعيم عام ١٩٥٨

يلاحظ الطيار صلاح العزاوي خلال عودته الى بغداد حيث اختفى في احدى الاديرة ، وقد بالغ مساؤولو اللجنة الثورية في حديثهم الى سليم الفخري عن امكانياتهم وقواعدهم وعناصرهم ومؤيديهم بحيث خيل اليه ان نجاح الحركة الانقلابية مضمون .

وبعد تباطؤ اللجنة الثورية في التنفيذ اوجس سليم الفخري خيفة ، وعرض عليهم العودة للشمال ، باعتباره اكثر امناً له ، الا انهم اقنعوه بالبقاء لجسامة المهام ، ثم يقومون بالتنفيذ ، وكلفوه بكتابة « البيان الأول وتسمية أعضاء حكومة الانقلاب الجديدة التي اختارها « المجلس الثوري الشعبي »[117] فوضع سليم الفخري البيانات المطلوبة وسجل اسماء الوزراء باللغة الانكليزية على ورقة ، وبقي ينتظر اليوم الموعود ، لكنه اعتقل مع رفاقه نتيجة اندساس بعض عناصر السلطة في تنظيم اللجنة الثورية ، وقد انهار المعتقلون وأخذ احدهم يعترف على الآخر ، حتى تم تصفية هذه (اللجنة الثورية) التي لم ير النور « بيانها الأول » وبقيت اسماء رئيس الجمهورية ، والوزراء وقادة الفرق في الجيش ، الذين اختارهم سليم الفخري ضمن المستندات التي عثر عليها في دار اختفائه »[118] .

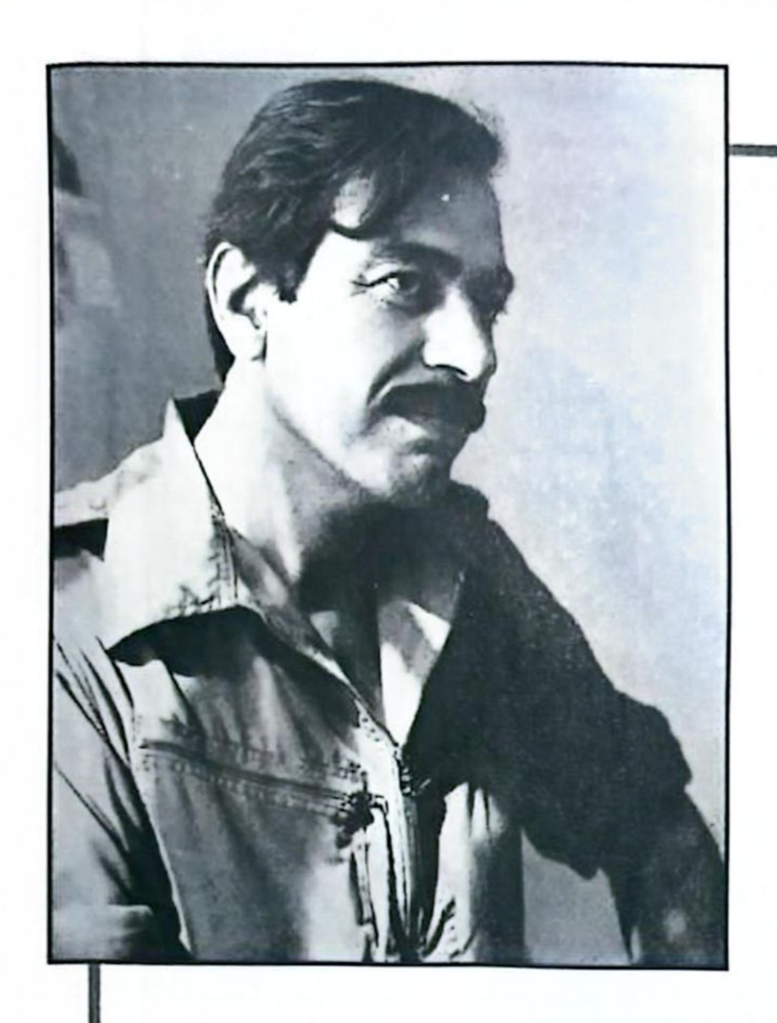
---

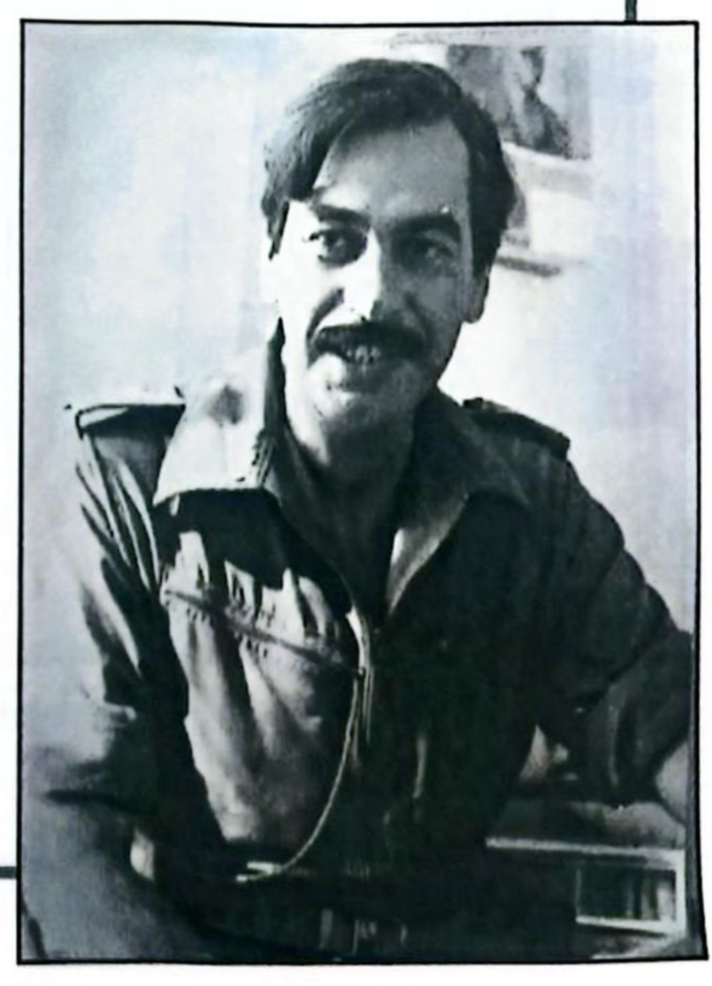
(117) وهو اسم قيادة الحركة الانقلابية التي قيل ان اللجنة الثورية ستقوم بها .

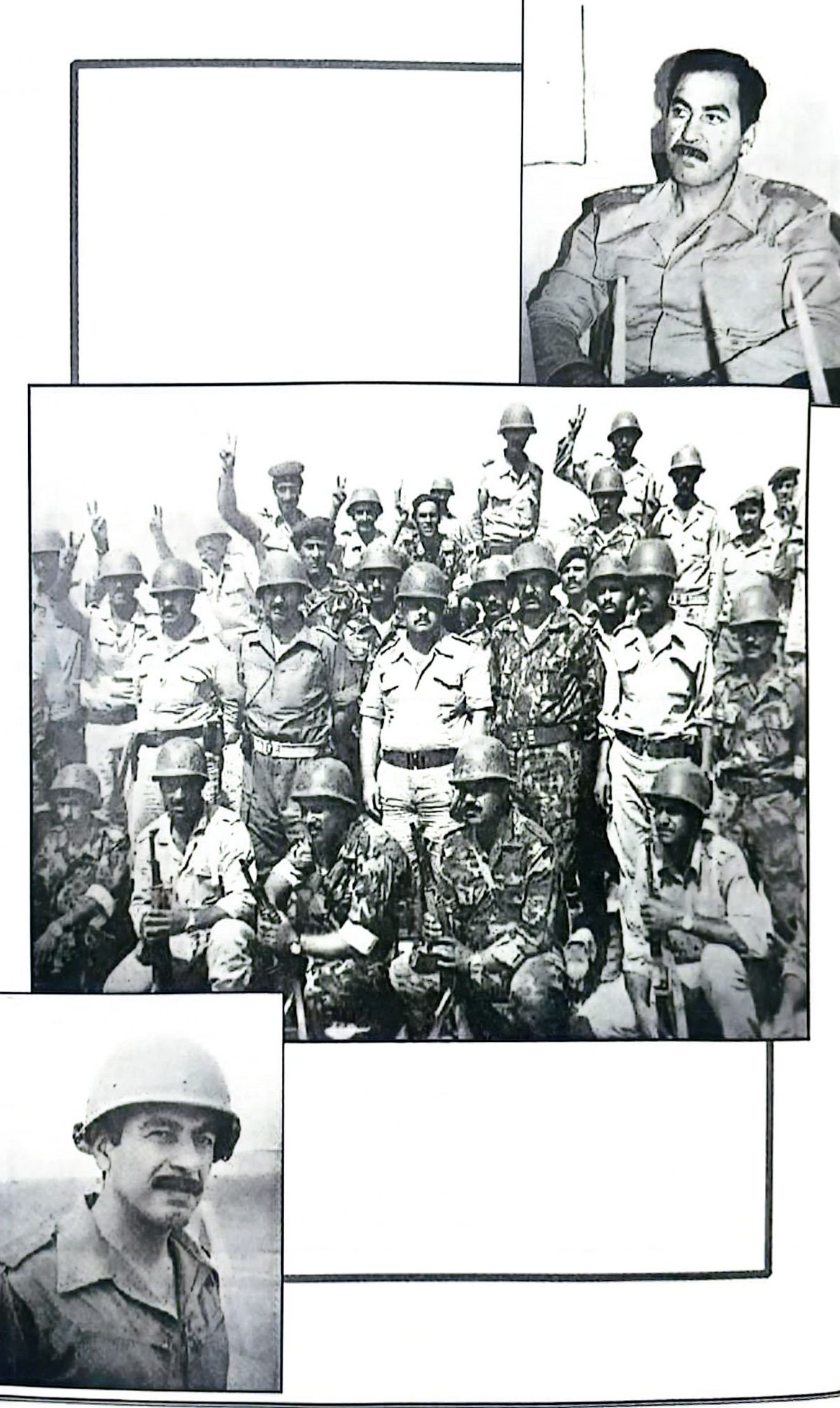
(118) ضمت القائمة كلاً من :

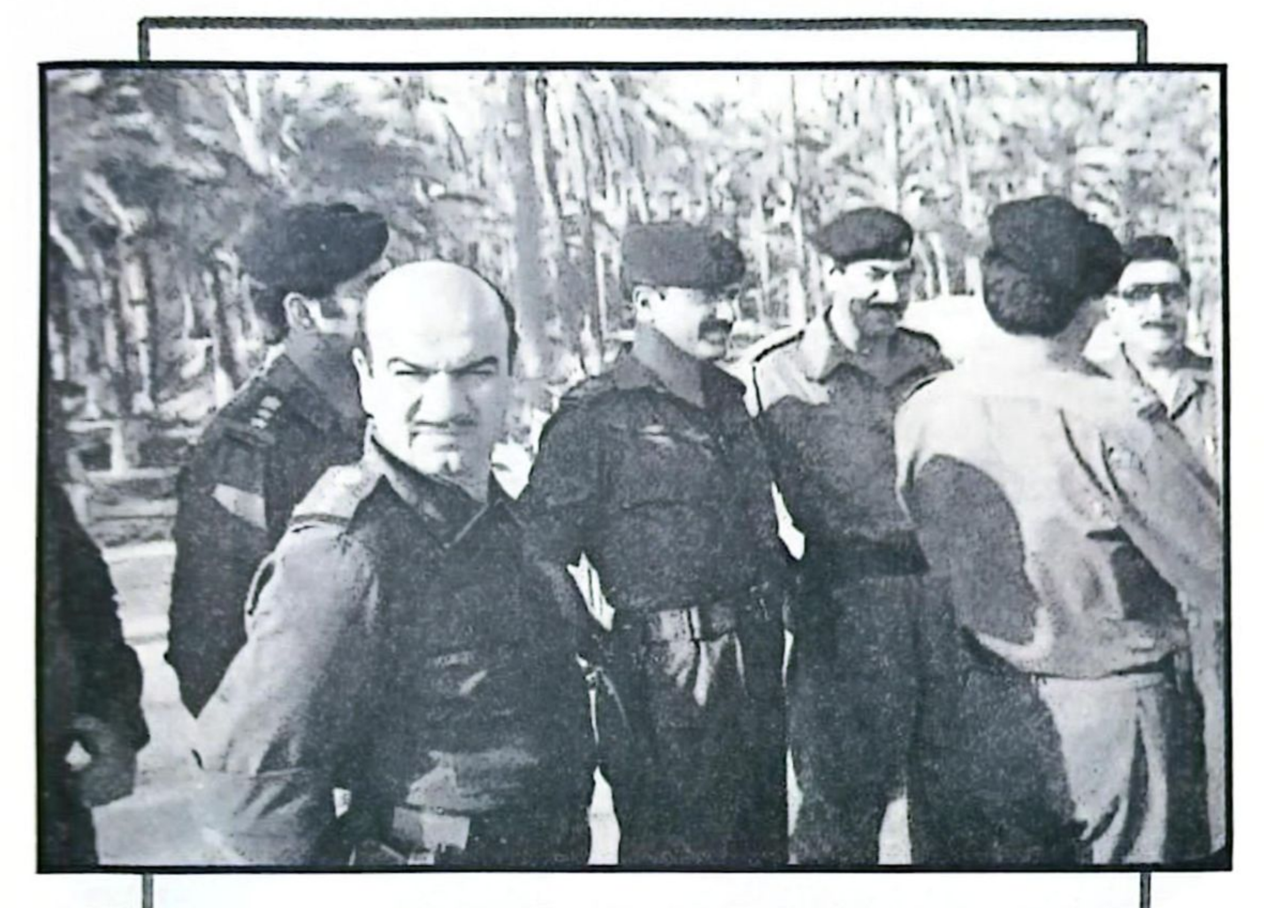
١ - كامل الخارجي (او اسماعيل صفوت) - رئيساً للجمهورية .
٢ - الملا مصطفى البارزاني - نائباً لرئيس الجمهورية .
٣ - سليم الفخري - رئيساً للوزراء .
٤ - ابراهيم كبه - وزيراً للاقتصاد .
٥ - عبد الوهاب القيسي - وزيراً للعدل .
٦ - محمد حديد - وزيراً للمالية .
٧ - عبد الوهاب محمود - وزيراً للخارجية .
٨ - جلال الطالباني - وزيراً للاسكان .
٩ - جلال بالطه - وزيراً للداخلية .
١٠ - مصطفى علي - وزيراً للاوقاف .
١١ - عزيز شريف - وزيراً للعمل .
١٢ - عبد الفتاح ابراهيم - وزيراً للنفط .
١٣ - الدكتور رافد صبحي - وزيراً للمعارف .
١٥ - عيسى البلداوي - وزيراً للبلديات .
١٦ - محمد مهدي الجواهري - وزيراً للثقافة والارشاد .
١٧ - محمد صالح بحر العلوم - وزيراً للدولة .
١٨ - احد قياديي حزب البارت من جماعة البارزاني - وزيراً للدولة .

اسماء القيادات التي اختارها العزاوي عند نجاح انقلابه



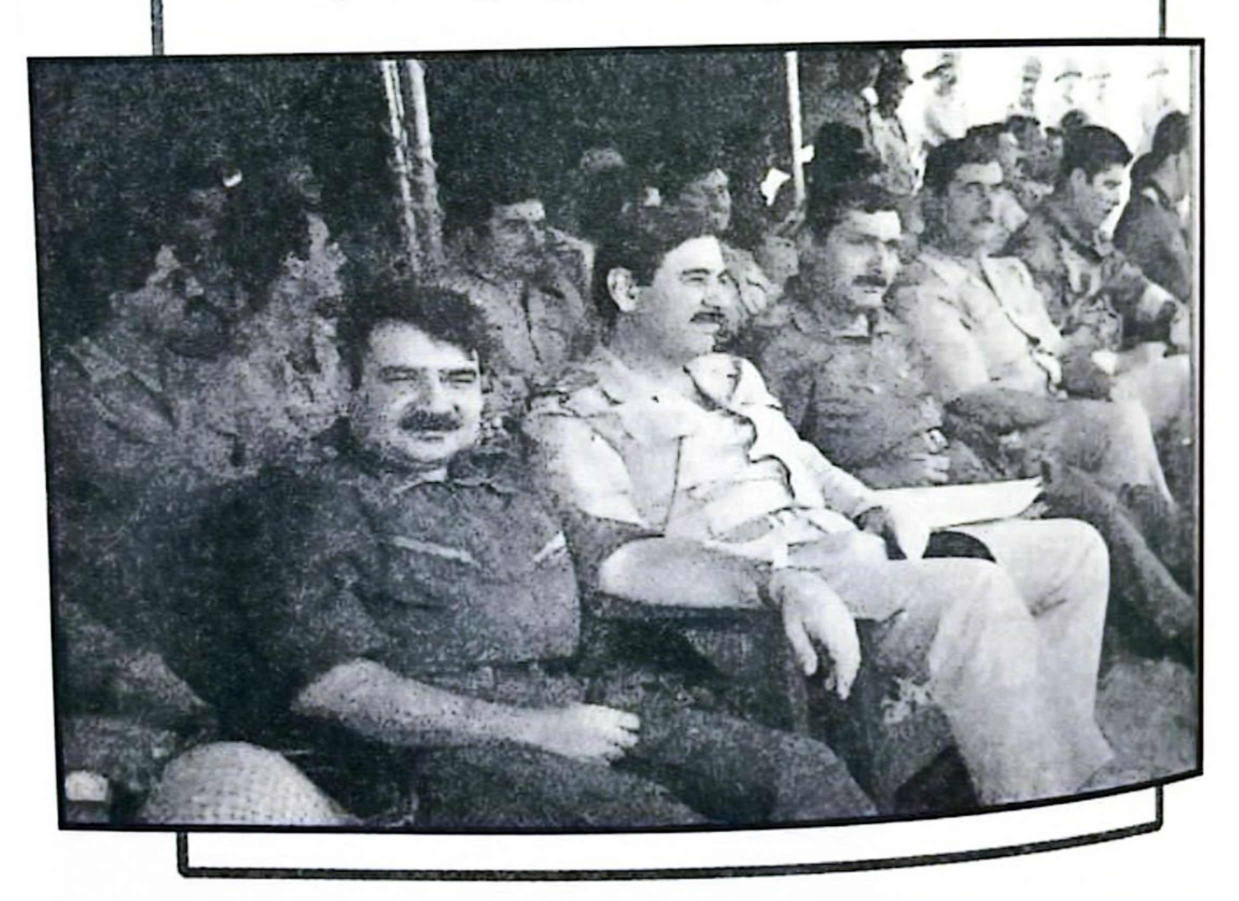








خلال احدى المناسبات العسكرية في الثمانينات





أثناء تدريبه أحدى الفصائل الفلسطينية بحضور
الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات



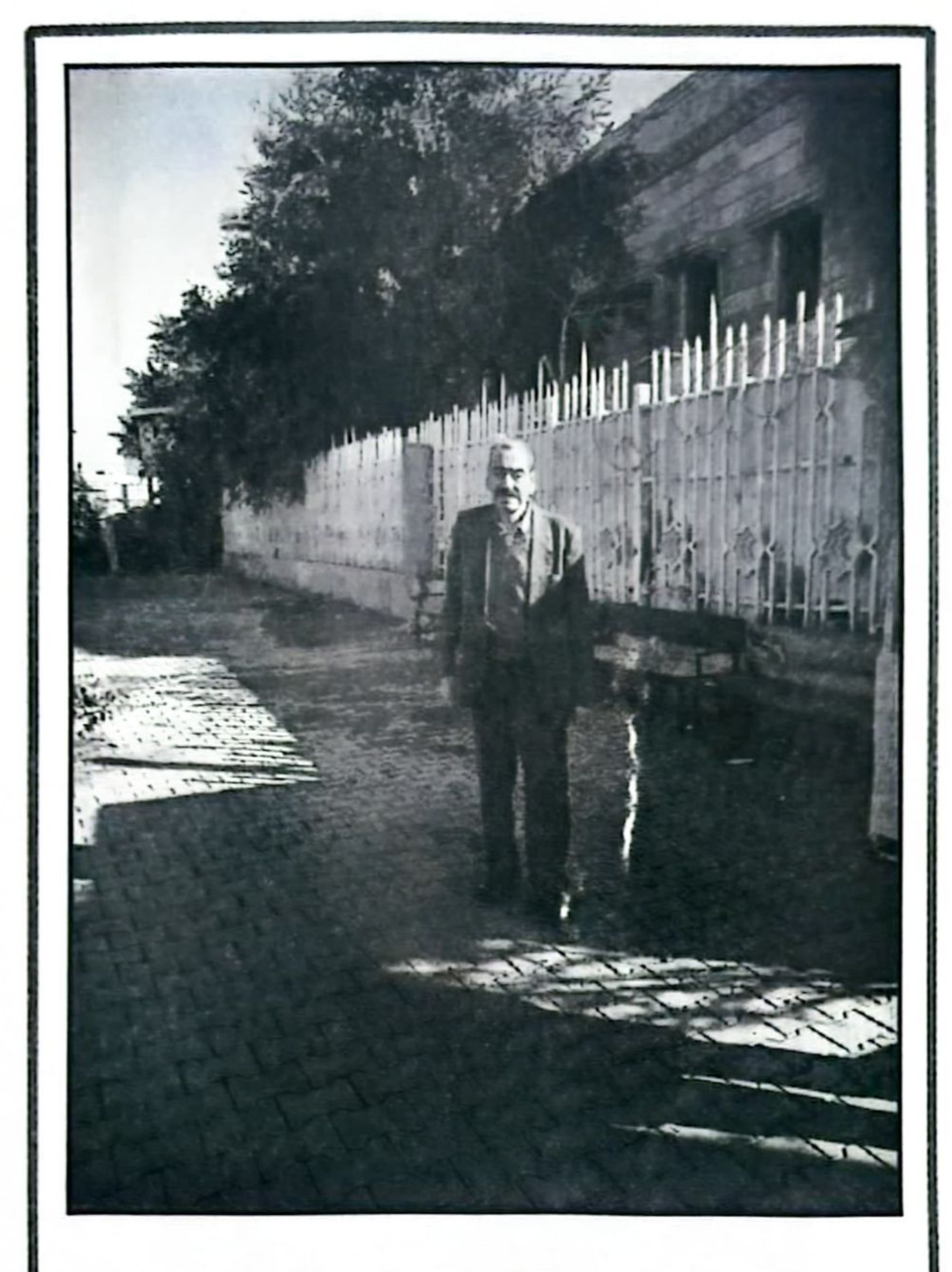
مع الراحل
ياسر عرفات
اثناء
مسؤوليته
لتدريب
الفصائل
الفلسطينية
في الحلة



الاعدادية المركزية قرب باب المعظم
التي كان يدرس فيهااللواء شاكر العزاوي



متصرفية لواء بغداد التي اعتقل فيها
المحافظ ومديري الامن والشرطة



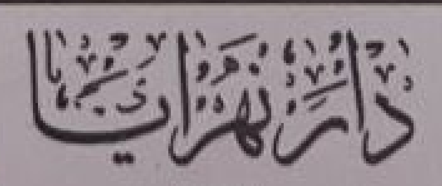
المكان الذي كان يقاتل فيه قرب قاعة الشعب
داخل وزارة الدفاع



لم تكن شخصية الزعيم عبد الكريم قاسم حالة عابرة في حياة العراقيين بل كان حالة تكاد أن تكون فريدة عبر قرون من الزمان في حال استعرضنا الحكام الذين تسلطوا على ادارة العراق وحكمه، كان الراحل قدوة ومثالاً للوطنية الحقيقية وانساناً امتلك من الصفات ما يندر وجودها في غيره ويعرفها كل من عمل قريباً منه، كان عفواً رحوماً حتى بأعدائه وخصومه، كريماً سواء قبل الثورة أو بعدها، ويكرم من ماله الخاص وليس من اموال الدولة كما يفعل غيره الآن، شجاعاً أذاق الصهاينة الذل والهزيمة في حرب ١٩٤٨، متواضعاً نزيهاً عادلاً كفوءاً مثابراً انجز في عهده ما لم تنجزه الملكية طيلة ٣٧ عاماً من المشاريع الخدمية والعمرانية والقوانين وغيرها من المنجزات، رجل لم يمنح أي من أهله وأقاربه ما لا يستحقون، بل حتى استحقاقهم حرمه منهم ليغلّب مصلحة الشعب على حاجتهم، حتى قطعة الأرض التي ورثوها من ابيهم في الصويرة تبرع بها للدولة لبناء مدرسة هناك، الزعيم له من الصفات التي تقترب من الأولياء والصالحين تغمده الله برحمته الواسعة فقد غادر الدنيا مظلوماً صائماً لا ذنب يستحق عليه القتل، غادر من غير مال ولا بنين ولا أملاك ولا أرصدة في البنوك، ذهب للقاء ربه بعد أن أحبه السواد الأعظم من الناس ولم يبغضه الا من في نفسه مرض أو تقاطعت مصالحه مع توجهاته الوطنية والقومية والانسانية، أو اولئك الذين سخرهم القريب والبعيد ضده.

اللواء المتقاعد

شاكر العزاوي



دار نهرايا
نشر طبع توزيع
mouhimn0@gmail.com
+964 7826 598 137